٩

مكتبة الشعراوى الإسلامية

أخبار اليوم
قطاع الثقافة

Mngool.com

معجزات الرسول

فضيلة الشيخ / محمد متولى الشعراوى

دار اخبار ال
قطاع الثقاف

جمهورية مصر ال
٦ شارع الصح
القاهرة

تليفون/ فاكس
٥٧٩٠٩٣٠

بسم الله الرحمن الرحيم

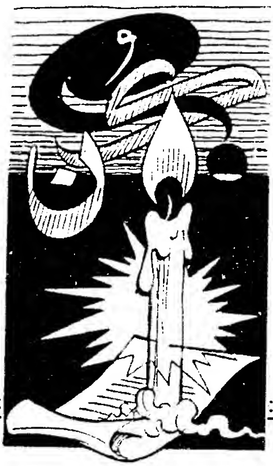
بعد حمد الله والصلاة والسلام على
سيدنا رسول الله.
أسأل الله أن تكون هذه الكتب
التي ستصدر بعد ملتقيتي خطوة على
طريق الهدى ونور رأيته الأمينة للإرشاد
والله نسأل الهداية والتوفيق

محمد متولي الشعراوي

تصميم الغلاف : **أشرف حسين**

التصميم الداخلي : **عبد الكريم محمود**

الفصل الأول



ما هى المعجزة ؟

قبل أن نبدأ الحديث عن معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم .. لابد أن نعرف ما هى المعجزة ؟

المعجزة مأخوذة من عَجَزَ ، والعجز هو نقص قدرات الإنسان عن فعل يريد أن يفعله ، ولكن قوته لا تمكنه من فعله .. فإذا أراد الإنسان مثلا أن يحمل حملا ثقيلا ، ولم تستطع عضلات يديه أن تحمله ، نقول فى هذه الحالة : عجز الإنسان عن حمل الشيء .. أى أن هذا الشيء فوق قدراته .

وكلمة عجز غير كلمة أعجز ، فأعجز معناها أن غيره هو الذى جعله عاجزا عن أن يفعل .. كأن يجيء شخص ويقيد يدى ورجلى إنسان آخر .. فيجعله عاجزا عن الدفاع عن نفسه .. فى هذه الحالة لا يكون العجز من نفس الشخص ، ولكن بسبب أن إنسانا أخر قيد قدراته فأعجزه .. فمادام أعجزه يكون هناك صراع وتحد .. بمعنى أن الإنسان يريد أن يقاوم .. ولكن خصمه يقيده فيضعف مقاومته .. أو يجعلها مشلولة غير موجودة .

إذن هناك فرق بين عجز وأعجز .·. فالأولى معناها شيء لا تقدر عليه وأنت ممتلك لكل قواك .. والثانية هى أن تعجز عن مواجهته لأن قواك قيدتك .

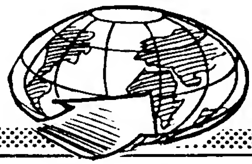
والمعجزة هى خرق لقوانين الكون ، يؤيد الله سبحانه وتعالى بها رسله ، بينما يعجز المكذبون بهذا الرسول أن يأتوا بمثلها .

إن الله تبارك وتعالى قبل أن يخلق الانسان ، أعد له الكون الذى سيعيش فيه إعدادا كاملا ، وأمده بكل المقومات اللازمة لحياة الإنسان ، ولكنه ترك للحضارة والتقدم فى الكون مجالا .

ولقد شاء سبحانه وتعالى أن تكون جميع المقومات الأساسية لحياة الانسان مخلوقة من الله تعالى .. فالماء الذى يشرب منه الناس ليس للانسان عمل فيه .. إنه ينزل من السماء ليسقى بلايين البشر ولا ينقطع أبدا . إننا لم نسمع فى يوم من الايام أن المطر قد توقف ، أو أصبحت الكرة الأرضية بلا ماء . ورغم ان المطر لا عمل للانسان فيه ، إنما هو يتم فى عملية كونية ـ بدون تدخل من أحد ـ من بخر لمياه البحر ، إلى تكثف هذا البخار فى طبقات الجو العليا ، إلى أن يصير سحابا تدفعه الريح إلى حيث يشاء الله .. فيصطدم بقمم الجبال الباردة فيسقط المطر . كل هذه العملية تتم بإرادة الله وحدها .

فإذا انتقلنا لظواهر الكون الأخرى .. كالهواء الذى يحيط بالأرض ، والطعام الذى نبت منها .. والشمس التى تنير الكون .. لوجدنا أن كل هذا قد أعد إعدادا إلهيا لخدمة الانسان ولتوفير مقومات حياته ، وهذا على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر .

اذن فالمقومات الاساسية للحياة ليس فيها عمل للانسان .. ولكن عمل الانسان ينحصر فى أن يأخذ هذه المقومات الموجودة ويستخدمها فى بناء حضارته وارتقاء حياته .. أو فيما نسميه ترف الحياة ..



لا شىء زاد فى الكون

وهذا يدل على ان الانسان لم يزد شيئا أساسيا فى هذا الكون . . لأن الاساسيات خلقها الله تبارك وتعالى . . وكل ما فعله الانسان انه أخذ هذه الاساسيات وبدأ يرتقى بها بما أودعه الله فيه من العقل . . فبعد أن كان يذهب إلى البئر لإحضار الماء . . استطاع أن يجعل الماء يصل اليه وهو فى منزله ، ذلك ترف ، لأن ضرورة الحياة ـ وهى الماء ـ كانت موجودة فى البئر أو فى النهر ، وكل ما فعله الانسان أنه جعل عملية الوصول إلى الماء فيها ترف بألا تتعب حتى تذهب إلى البئر أو النهر . . وفيها اختصار للزمن بأن يصل إليك الماء فى وقت أقل وبلا أى مجهود . .

وكان الانسان يغسل ملابسه بيده، وهو الآن يستخدم الغسالة الكهربائية . . هذه الغسالة ارتقت به فجعلت الوقت أقل والراحة اكثر .

وهكذا كل الاختراعات . . أيضا المصعد يجعلك تصعد أو تهبط بسهولة وسرعة وراحة . . وكذلك كل الاشياء التى تريد ان تحصل عليها . . ما عليك إلا أن تضغط على زر فيأتيك ما تطلب من مأكولات أو مشروبات أو مسموعات أو مرئيات ، إلخ ما وفره العلم الحديث للانسان . . أما الاساسيات فهى من صنع الله سبحانه وتعالى .

لقد أتاح العلم للانسان أن يستنبط أصنافا من التفاح أو الموز أو الخضراوات أو غيرها ، أكثر حلاوة أو أزهى لونا أو ألذ طعما . . هذا ترف . . ولكن الثمرة الأولى من التفاح هى من خلق الله ، جاءتك هدية من السماء ، ولولا هذه الثمرة الأولى ما كنت مستطيعا أن توجد تفاحة واحدة . . ولكن لو لم يخلق الله هذا النوع من الفاكهة أو الخضراوات . . لما استطعت أن تستنبط وتطور . . لكنه خلقها . . وكان بإمكانك ان تعيش على الثمرة الأولى كما خلقها الله لك دون أن تشعر بأى نقص فى ضروريات حياتك .

إذن فمهمة الانسان أن يأخذ من الموجود ليرتقى ، ولكن الايجاد فى الكون هو من الله تبارك وتعالى وحده . . إنك لو تتبعت أى نعمة من نعم الله تجد ان الموجد لها ليس هو الإنسان ، ولكنه الله سبحانه وتعالى .

الثمار الموجودة من أين جاءت ؟ . . من الشجرة التى قبلها . . والشجرة التى قبلها أخذتها من الشجرة التى قبلها ، وهكذا حتى تصل فى آخر الأمر إلى بداية الوجود لهذه الشجرة . . من أين جاءت ولم يكن هناك موجود قبلها ؟ . . لقد جاءت خلقا مباشرا من الله جل جلاله ، ولذلك فمن الواجب على الانسان عندما يقبل عن كون ويجد فيه كل مقومات حياته بدون عمل منه أن يتساءل : من الذى أوجد لى كل هذا ؟ . . من الذى خلق لى هذا الكون المبدع ؟

إن القضية هنا محسومة ، لأن اكثر الناس كذبا لا يستطيع أن يدعى انه خلق هذا الكون بسمائه وأرضه ونعمه . وهناك من خلق

الله من أشرك ومن كفر . . ومن افترى على الله كذبا . . ومن حارب دين الله ورسله ، ولكن هؤلاء جميعا ـ على كثرتهم ـ لا يستطيع واحد منهم أن ينسب لنفسه انه خلق الكون . . أو خلق نفسه ، ولذلك يقول الحق سبحانه وتعالى عنهم .

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾

(من الآية ٣٨ سورة الزمر)

فأكثر الناس كفرا لا يمكنه ان ينسب خلق السماوات والأرض لغير الله . لأن فى هذا الكون أشياء تعجز عن إدراكها قدرة كل مخلوقات الله . فلا أحد يستطيع أن يصل إلى الشمس أو النجوم أو القمر ليتحكم فى دوراتها . . أو السيطرة عليها أو تغيير مسارها !

وكان على الانسان عندما وجد هذا الكون الهائل ، الملىء بالنعم التى تخدمه أن يتساءل من الذى خلقه ؟ أن يفتح عينيه ويرهف سمعه للرسول الذى يرسله الحق سبحانه وتعالى لكى يعرفنا أن خالق هذا الكون هو الله . وأنه يريد منا أن نعبده ، ونتبع منهجه . ولو استخدم الانسان العقل السليم ، ولم يتبع هواه لآمن بالرسل ، لأنهم جاءوا ليعرفوه ما لا يعرفه عن الله سبحانه وتعالى . وكان الرسول أمرا ضروريا ، لأننا لا نستطيع أن نصل بعقولنا لنعرف من الذى خلق هذا الكون . غاية إدراك العقول أن تتأمل آيات الله فى الخلق ، وأن تعرف أنه لابد أن هناك خالقا عظيما خلقه وأوجده ، وهنا تتوقف العقول ، ويبدأ دور الرسل ، فهم الذين ينبئوننا أن خالق هذا الكون هو الله جل جلاله ، وأن صفاته كذا وكذا ، وأنه يريد منا كذا أو كذا .

العقل قاصر .. ومحدود

انت بعقلك لا تستطيع ان تسمى خالق هذا الكون ، ولا يمكنك أن تعرف الغاية من الخلق ، ولكن الرسول يأتى ليعلمك هذا كله . ومادامت هذه هى مهمة الرسل ، كان الواجب على الانسان أن يرحب بهم ، وينصرهم ، لا أن يكذبهم ويحاربهم . ولكن الحق سبحانه وتعالى يلفتنا إلى نقطة هامة فى السلوك البشرى ، نقطة تبين طبيعة البشر . فيقول جل جلاله .

﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾

(الآيتان ٦ ، ٧ من سورة العلق)

ذلك أن الانسان حين يجد النعم تحيطه لا يسأل عن مصدرها !! بل يكتفى بالتمتع بها . وكأنه حق مكتسب له ! إنه يعيش مع النعمة وينسى المُنعِمْ ! لذلك يأتى الحق سبحانه وتعالى ليخرجنا عما ألفناه من نعم .

اننا نشاهد مناطق لا يتوقف فيها المطر . ومع ذلك تصاب بالجفاف ، حتى يلفت الناس إلى أن نعمة المطر لها خالق تخضع له ، وأن البشر عاجزون عن أن يسيطروا على الامطار ، فيجعلوها تمطر هنا ولا تمطر هناك ، وأنهم لابد ان يلتفتوا الى مصدر النعمة ولا يعبدوا النعمة ذاتها . وحين يحدث الجفاف وتغور الآبار ، وتقل مياه الانهار ، حينئذ لابد ان يتجه الانسان الى خالق النعمة ، ويحس الغافلون أن هذا الكون ، لا تحدث

فيه الاشياء بذاتيتها . ولكن بأمر ربها ، والإنسان فى الازمات لا يكذب نفسه ، وانه يتحه إلى الله سبحانه وتعالى صاحب النعمة .

بعض الناس يتساءل : لماذا نقيم صلاة الاستسقاء عندما ينقطع المطر ؟ وما هى علاقة الصلاة بهذه الظواهر الكونية ؟

نقول إن الصلاة هى التوجه لخالق هذه الظواهر الكونية . . فهو الذى أوجدها . . وهى لا تعمل إلا بإرادته ، وتشاء إرادته العليا ان تعطلها لفترة قصيرة . انها مجرد لفتة عسى ان يهتدى الناس الى خالقهم .

ونلاحظ هنا أن الله سبحانه وتعالى لا يلفتنا بتعطيل أشياء يختل معها نظام الكون . . فلا يمنع الشمس مثلا من الشروق أو الهواء الذى يتنفسه الانسان والحيوان . . لأنه فى هذه الحالة يحدث خلل فى الكون كله .

إذن وجود الرسول كان ضروريا . لنعرف من الذى خلق الكون ، وماذا يريد هذا الخالق منا ؟ ولكن لكى تتم الرسالة لابد للرسول ان يكون من جنس المرسل اليهم ، لأنه مُبَلِّغٌ وأسوة فى تطبيق المنهج ، فلابد أن يكون مثل المرسل إليهم . ولو كان مخالفا فإنه لا يَصْلُح .

إننا نقول لأولئك الذين يدعون ألوهية البشر : إذا قلتم عن الرسول إنه إله فلا تصلح رسالته . . لانه اذا طالب الناس بأن يتخذوه أسوة ويقتدوا به ، ويفعلوا مثل ما يفعل لقالوا له ، لقد حَمَّلْتَنَا فوق طاقتنا . . إننا لا نستطيع ان نفعل مثلك ، لأنك إله

ونحن بشر . لك قدرات نعجز عنها ، ولا نستطيع أن نجاريك فيها . . لهذا لابد ان يكون الرسول بشرا لتصح رسالته ، وليكون مبلغا وأسوة وحتى يمكنه أن يلتقى بقومه ، ويكلمهم ويكلموه . .

والحق سبحانه وتعالى ، لا يمكن أن يكون قد خلق هذا الكون عشوائيا . أو بغير هدف . واقرأ قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ
لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ
مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾

(الآيتان ١٦ ، ١٧ من سورة الانبياء)

إذن فهذا الكون لم يخلق عبثا ، ولكن له مهمة . والانسان لم يخلق عبثا . ولكن وضع له منهج ، والله سبحانه وتعالى فى سورة الرحمن يقول :

﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾

(الآيات من ١ إلى ٤ من سورة الرحمن)

إذن فالقرآن وجد أولا ، لأنه هو المنهج الذى سيطبقه الإنسان فى الحياة . ولا يمكن ان تحقق هدفا فى الدنيا إلا إذا وضعت له المنهج المطلوب منه . فأنت قبل أن تنشىء مدرسة لابد أن تحدد أولا : ما هو الهدف من انشائها ؟ والمناهج التى ستدرس فيها ؟ وعدد التلاميذ الذين سيسمح لهم بدخولها ؟ وما

هى تخصصاتهم ؟ ثم بعد ذلك تبنى المدرسة لتحقق ما تريد . فتأتى الفصول واسعة لتستقبل عددا كبيرا من التلاميذ . أو ضيقة إذا كان عدد التلاميذ فى الفصول محدودا . وتنشىء المعامل إذا كانت الدراسة فيها عملية . فإذا بدأنا البناء دون تخطيط مسبق ودون مراعاة منهج أو هدف . . فإن البناء لا يصلح لشىء .

ونفس الشيء يحدث إذا أردت أن تبنى عمارة . لابد أن تخطط لها أولا . أتريدها بناءً فاخرا . أم بناءً شعبيا . أتجعل كل شقة من حجرتين . أم من خمس حجرات ؟

إن الحضارة البشرية لا يمكن ترتقى إلا اذا وضعت لها الأهداف أولا . فالذى صنع آلة لابد ان يكون قد حدد لها الهدف أولا . فالذى صنع غسالة مثلا ، كان هدفه تخفيف المعاناة عن الناس ، بجهد أقل . وفى زمن أسرع . والذى أطلق قمرا صناعيا إلى الفضاء حدد الهدف من إطلاقه وهو تصوير أماكن معينة فى الارض . أو نقل صور من أماكن بعيدة إلى الارض فى فترة وجيزة . ثم بعد ذلك جهز الصاروخ بالأجهزة التى سيتم بها تحقيق هذا الهدف . ثم بعد ذلك أطلقه .

إننا قبل أن نبدأ ابحاثنا عن أى صنعة جديدة ، فلابد أن نعرف ما هو الغرض منها . . فلا أحد يصنع جهازا ثم بعد أن يصنعه يبدأ تجاربه ليحدد فى أى مجال يمكن أن ينتفع به ! إنما هو ـ كما قلنا ـ يحدد الهدف أولا ، ثم يصنعه ، ثم يحدد طريقة تشغيله . وقانون صيانته . وكل ما يتعلق به .

لقد أوجد الله تبارك وتعالى القرآن أولا . ثم أوجد من

سيتعلمه . وضع المنهج للانسان . ثم بعد ذلك خلقه ليطبق هذا المنهج فى الكون . لقد أوجد لنا المنهج قبل أن نوجد ، وحدد لنا فى المنهج ماذا نفعل ، حتى نعرف مهمتنا فى الحياة . ووضع لنا فى المنهج قانون صيانتنا ، حتى إذا اختلت الموازين وامتلأ الكون بالشقاء . . رجعنا إلى قوانين الصيانة التى تنظم حياتنا وتجعلها مستقيمة خالية من الشقاء . . يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾

(الآية ٥٩ من سورة النساء)

إن الحق تبارك وتعالى يقول لنا . . إننا اذا اختلفنا فى شيء وأتعبنا ، فلابد أن نرجع إلى المنهج حتى نصلح المسار . . وإذا أصابت الامراض المجتمع ، لابد أن نعود إلى صيدلية القرآن لنجد الدواء والشفاء . والانسان الذى جعله الله سبحانه وتعالى سيد هذا الكون ، وجعل كل أجناس الوجود تخدمه . . الجماد يخدمه والنبات يخدمه ، والحيوان يخدمه ، لابد أن يكون له منهج وهدف ، لأن الاجناس التى هى أقل من الانسان لها عمل وهدف . والحق سبحانه وتعالى يقول فى الحديث القدسى :

« يَا ابْنَ آدم . خَلقْتُ الأَشْيَاءَ مِنْ أَجْلِكَ وَخَلَقْتُكَ مِنْ أَجْلِى . فَلاَ تَشْتَغِلْ بِمَا هُوَ لَكَ عَمَّا أَنْتَ لَهُ » . ولذلك من

العجيب أن نجد كل اجناس الكون ، تؤدى مهمتها للانسان . والإنسان لا يؤدى مهمته نحو ربه ! مع أن هذه المهمة . . مهمة الانسان لله لا ينتفع منها الحق سبحانه وتعالى . ولكن ينتفع منها الإنسان ، ليعيش بعد ذلك حياة أبدية . فى نعيم مقيم .

إنك « بقانون الأسباب فى الدنيا » تأخذ على قدر مجهودك وعلمك . فإن كنت قد تعلمت صنعة بسيطة ، فإنك تأخذ من خير الدنيا على قدر هذه الصنعة . وكلما ازددت رقيا فى الحياة بأن أخذت حظا أكثر من العلم ، يزداد الخير الذى تأخذه من الحياة ، ولكن فى الآخرة لا تأخذ حسب قدراتك وعلمك ، ولكن تأخذ منها بقدرات الله سبحانه وتعالى وبقدر ما اتبعت منهجه فى الدنيا .

وقد يكلفك اتباع المنهج بعض المشقة ، ونقول لك أيها الانسان : إن هذه المشقة فترتها ـ مهما طالت ـ محدودة . والله سبحانه وتعالى إن كان يريد ان يتعبك فترة قصيرة ـ وهى فترة التكليف ـ فإنما ليريحك راحة أبدية لا تتعب بعدها أبدا . وتتمتع فيها بنعيم الجنة . أنت فى الجنة ، بمجرد أن يخطر الشىء على بالك تجده أمامك . وهذا لا يوجد فى الدنيا . فمهما ارتقينا فى العلم والحضارة لا يمكن أن نصل الى الدرجة التى إذا خطر الشىء على بالك تجده أمامك .

والله سبحانه وتعالى بعث الرسل لنفع الانسان ، بأن يدلوهم على الخالق ليعبدوه ، وعلى المنهج الذى يتبعونه ليصلوا الى النعيم الأبدى فى الآخرة .

ولكى يصدق الناس الرسل ، كان لابد للرسول أن يأتى

بمعجزة . بشىء يثبت لقومه أو للعالم كله أنه مرسل من الله سبحانه وتعالى .

ولكن كيف تأتى المعجزة ؟ هل لها قوانين محددة ومهمة وأهدافا وضعها لها الحق تبارك وتعالى ؟

نقول إنه لا شىء فى الدنيا وجد بلا هدف ، بل كل خلق الله له مهمة يؤديها ليستقيم هذا الكون ، ولذلك كانت المعجزة تتناسب دائما مع ما نبغ قوم الرسول فيه .

والناس متفاوتون فى قدراتهم ، وكل أمة من الأمم نبغت فى شىء ، بمعنى أنها ارتقت فيه ، ووصلت الى درجة كبيرة من التقدم . فإذا أرْسِلَ رسول الى أمة من هذه الأمم ، وكذبوه فى رسالته ، فإنه يقول لهم : أنتم نبغتم فى هذه الناحية ، ولا يستطيع أحد من البشر أن يتفوق عليكم فيها ، والرسول القادم إليكم ، ليس له حظ فيما نبغتم فيه . فإن كنتم نابغين فى الطب ، فالرسول لابد أن يكون بعيدا عن هذا المجال . وليس من الذين اشتهروا فيه أو يمارسونه . واذا كنتم قد نبغتم فى السحر مثلا فالله يرسل إليكم رسولا ، لم يمارس السحر ، ولا يعرف عنه شيئا . وتكون هذه المسألة معروفة لكم . وحتى لا يقال انه أتى بمعجزته عن علم تعلمه على يد بشر ، أو يقال إن المعجزة هى ارتقاء حضارى لإنسان درس وتعلم .

وحتى لا يقال نبوغ بشر ، وارتقاء حضارة ، يأتى هذا الرسول بأمر خارق لما نبغوا فيه . . لكنهم يعجزون عن مجاراته أو الاتيان بمثل ما تحداهم به ولو تعاونوا جميعا . . ووضعوا كل قدراتهم ، واستعانوا بمن يشاءون .

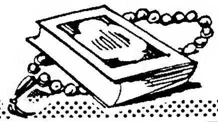
المعجزة .. للتحدى !

وحتى لا يقول الكفار منهم لقد جاءنا يَدَّعِى الرسالة بشىء لم نتقنه وننبغ فيه ، ولو تعلمناه لجئنا بمثل هذه المعجزة . جاءهم بشىء تعلموه بل ونبغوا فيه واشتهروا بفعله . ثم بعد ذلك تحداهم به ، لكنهم يعجزون !!

ومعنى التحدى هو إثارة حماس القوى المعارضة لتفعل .. والقوى المعارضة هى الكفار ، أو غير المؤمنين . لقد تحداهم علنا ، لتهيج نفوسهم أمام الناس . ويحاولوا قدر طاقتهم أن يأتوا بمثل المعجوة ويحشدوا لها طاقاتهم ، بل ويجندوا لها للرد عليها . ولكنهم مع كل ذلك ، ورغم كل ذلك يعجزون !

إذن معنى المعجزة أن يأتى الله سبحانه وتعالى على يد رسول من البشر بأمر خارق ليثبت بها صدق بلاغ هذا الرسول عن الله . فكأن الرسول يقول : أنا لم أُعْرَفْ بينكم بما نبغتم فيه . ولكنى أتيت بشىء لا تقدرون عليه . وأنا اتحداكم أن تجتمعوا جميعا وتستعينوا بعضكم ببعض .. ولن تقدروا على الاتيان بهذه المعجزة . وهذا دليل صدقى فى التبليغ عن الله .. إن أَعْوَزَكُمُ الدليل .. وكنتم فى شك مما أقول .

إن الحق سبحانه وتعالى عندما يؤيد رسله بالمعجزات لا يتحدى بها فردا واحدا . ولكنه يتحدى أمة بأكملها ، إنه يطلب منهم أن يستعين بعضهم ببعض إن استطاعوا . ولن يستطيعوا ..



استمرارية الرسالة

ويجب أن نعلم أن هناك فارقا بين معجزات الرسل السابقين . . ومعجزات سيدنا محمد ﷺ . . معجزات الرسل السابقين ، كانت محدودة بزمن معين ، مقصورة على ما نبغ فيه قومهم . ولكن معجزات رسولنا صلى الله عليه وسلم ، خاتم المرسلين ـ كرسالته ـ لا تشمل أمته فقط . ولكنها للعالم أجمع ، وهى باقية بلا تغيير ولا تبديل إلى يوم القيامة .

كان لابد أن تكون معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم . مختلفة عن معجزات الانبياء السابقين . إنها لا تتحدى أمة معينة ، ولكنها تتحدى كل أجناس الأرض غير المؤمنة . والى ان تقوم الساعة . .

وهذا يعنى استمرارية الرسالة . . ويعنى كذلك أنها للعرب ولغير العرب . وأن الاعجاز سوف يتناسب مع ارتقاء العالم الذى يأتى العلم كل يوم فيه بجديد ، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وهكذا ـ وبايجاز ـ نكون قد عرفنا أن المعجزة . هى ما يعجزك . فلا تستطيع أن تأتى بمثله . ويكون فيها تحد للقوم الذين جاءت إليهم ، وتكون من جنس ما نبغوا فيه . . وأن الله سبحانه وتعالى تحدى البشرية كلها بإعجاز الخلق . فهذا الكون الذى خلقه الله جل جلاله هو معجزة ، وتحد للبشرية كلها . فلا يمكن لأحد أن ينكر أن الشمس ـ مثلا ـ هى معجزة تتحدى البشر جميعا من بداية الكون إلى قيام الساعة ، كما لا يستطيع

أحد ـ مهما بلغت قوته ونفوذه ـ أن يأتى بمثلها ، وهى ظاهرة أمامنا كل يوم ، تذكرنا بإعجاز صنع الله .

كذلك القمر والنجوم . والهواء والأرض والسماء بما فيها . كل هذا وغيره تحد للبشرية كلها ، بأن يأتوا بمثله إن استطاعوا .

إن هذا هو تحد لكل البشر . أما التحدى بالنسبة لأقوام الرسل المكذبين فكانت معجزات عامة تتحدى الناس كل الناس . وهى معجزات تدل على طلاقة قدرة الله سبحانه واجب الوجود . إنها الآيات الكونية الموجودة . وعدل الله سبحانه وتعالى شاء أن يساوى بين جميع خلقه ، فى معجزاته الكونية ، منذ بدء الحياة ، حتى قيام الساعة .

ان هناك معجزات أيد الله سبحانه وتعالى بها رسله . وهذه تختلف بين رسول وآخر ، حسب ما نبغ فيه قومه ، وما يريد الحق سبحانه وتعالى أن يعجزهم فيه . وهذه المعجزات تنتهى بانتهاء الرسالة وموت الرسول ، ولكن معجزة القرآن تختلف ، لأنها معجزة الرسالة الخاتمة . وهذا ما سنفصله فى الفصل التالى .

الفصل الثانى

معجزة القرآن



أَيَّد الله سبحانه وتعالى كل رسول من رسله بمعجزة .. هذه المعجزة خاصة بقومه لا تتعداهم إلى غيرهم .. وكانت معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم معجزة خالدة وهى القرآن الكريم . وإذا استعرضنا معجزات الرسل السابقين . وجدنا هذه المعجزات تختلف عن منهجهم . فالمعجزة شيء والمنهج شيء آخر .

موسى عليه السلام . كانت معجزته العصا ، ومنهجه التوراة . وعيسى عليه السلام . كانت معجزته إبراء الأكمه والأبرص . وكان منهجه الأنجيل . ولكن معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانت هى نفس المنهج . (القرآن) . ليظل المنهج محروسا بالمعجزة ، والمعجزة موجودة فى المنهج .

هذا هو أول اختلاف فى المعجزة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين الرسل السابقين .. المعجزة حين تنفصل عن المنهج ، وتكون قائمة بذاتها ، فإنها تحدث مرة واحدة وتنتهى . ولكن المعجزة تظل معجزة إلى يوم القيامة . فمثلا لو فرضنا أن العلم توصل إلى طريقة يشق بها البحر . لا تكون المعجزة قد انكشفت لماذا ؟ لأن موسى عليه السلام . ضرب البحر بعصاه . فانشق . وفى ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾

(الآية ٦٣ من سورة الشعراء)

إذن فحتى يصل الانسان ـ ولن يصل ـ إلى أن يضرب البحر بعصاه فينشق ، تظل معجزة موسى عليه السلام معجزة باقية .

عيسى عليه السلام . أبرأ الأكمه والأبرص . وربما توصل الطب الآن إلى دواء يبرىء الأكمه والأبرص . أو يعيد البصر إلى الأعمى . . نقول حتى لو وصل العلم إلى ذلك فستظل المعجزة معجزة . لأنه لن يوجد من يشفى الأكمه . أى الأعمى . والأبرص بلمسة منه . . وهكذا تكون المعجزة باقية .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم . أُسْرِىَ به من البيت الحرام إلى المسجد الأقصى وعاد فى نفس الليلة . قد يكون العلم الآن قد توصل إلى الطائرة . أو الصاروخ الذى يقطع المسافة فى زمن قليل . . ولكن المعجزة ستظل معجزة . لأنه لا يمكن أن يطير الانسان من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى . وهو يمتطى دابة ، إن هذا لن يتوصل العلم إليه . . إذن المعجزة ستظل معجزة . إلى نهاية العالم . ولن يصل إليها أحد . . !

الرسل السابقون على رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت رسالتهم لأقوامهم . فى أماكن محدودة . وفترة زمنية محدودة . وكل كتبهم كانت تبشر بالرسول الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم . ولذلك كانت معجزاتهم لتثبيت المؤمنين من أقوامهم . لفترة زمنية محدودة . فلا تستطيع الآن أن تقول هذه عصا موسى . وتريها للناس . وتضرب بها البحر فينشق . وتضرب بها الحجر فيخرج منه الماء .

معجزات حسية لا تتكرر

هذه معجزات حدثت وانتهت ولن تتكرر . ولكنك تستطيع أن تقول فى أى زمان : محمد رسول الله . وهذه معجزته . وتشير إلى القرآن الكريم . الذى بين يديك . . إذن فمعجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم . خالدة باقية . إلى يوم القيامة . تعطى لكل جيل معجزة جديدة .

ولو أن القرآن الكريم . أعطى كل معجزاته وقت نزوله لجمد ، ولما وجدت فيه الأجيال المتعاقبة معجزات تثبت صدق البلاغ عن الله . والقرآن الكريم . معجزة متجددة . كلما انقرض جيل وجاء جيل آخر ، وجد فى القرآن الكريم . معجزة لم تكشف للجيل الذى قبله .

المعجزات المادية للرسل السابقين كان مقصودا بها من شاهدها . . من رأها آمن بها . ومن لم يرها صدقها ، لأنها وردت فى القرآن الكريم . وأخبرنا الله بها . ولولا إخبار الله لنا بها . . ما عرفناها وما تنبهنا لها .

لقد شاءت حكمته سبحانه وتعالى ، أن يكون القرآن الكريم معجزة متجددة لأنه آخر رسالات السماء إلى الأرض ، فلابد أن يبقى معجزة ومعجزا إلى قيام الساعة .
فى الرسالات السابقة كان العالم يعيش منعزلا . لبعد المسافات وصعوبة وسائل الانتقال . لذلك كانت الأمراض التى يشكو منها

المجتمع تختلف عما يشكو منها مجتمع آخر ، فكان لابد من تعدد الرسالات . حتى تعالج أمراض الكفر والإلحاد فى الأرض . ففى فترة من الفترات أُرْسِل رسولان فى وقت واحد . وهما إبراهيم ولوط . إبراهيم جاء ليعالج عبادة الأصنام . ولوط جاء لمعالجة داء إتيان الذكور . .

إذن حالة العالم فى ذلك الوقت . . من حيث الانعزال وبعد المسافات . . فرضت أن يوجد قومان مختلفان فى مكانين مختلفين . . يعيشون ويموتون دون أن يعرف أحد منهما شيئا عن الآخر ! ولكن الله سبحانه كان فى علمه أن العالم سيتوحد وتتقدم وسائل الاتصال حتى أن ما يحدث فى أقصى الأرض يعرفه العالم كله بعد حدوثه بدقائق .

وهكذا توحدت الأمراض والداءات فى العالم . وهذا ما نراه الآن . مشكلة ادمان المخدرات مثلا . ملأت العالم كله . ومشكلة العرى بين النساء أصبحت فى معظم دول الأرض . ما يحدث فى أمريكا يقلده غيرهم بعد حدوثه بساعات أو أيام .

إن أساليب الجريمة . بدأت تتوحد . . فسرقات سيارات البنوك التى تحمل المال بدأت فى أمريكا . وهى الآن فى العالم كله . . والايدز مثلا . اكتشف فى أمريكا بينما مصدره أفريقيا . ثم ملأ العالم كله . . ومشكلة التضخم والربا مثلا . نجدها فى كل الأرض . . إذن نتيجة لسهولة الاتصالات وسرعتها ، وأن الحدث يحدث فى آخر الدنيا فتراه الدنيا كلها وقت حدوثه على شاشات التليفزيون . . بالأقمار الصناعية فى نفس لحظة حدوثه . كل هذا موجود . بسبب سهولة الاتصالات وسرعتها . وتقدم

وسائل المواصلات . لتنتقل من بلد إلى آخر تبعد عنها آلاف الاميال . تنتقل اليها فى ساعات معدودة . كل هذا اقتضى وحدة العلاج . . لأن الداءات توحدت . فلابد للعلاج أن يتوحد . ولذلك كانت معجزة القرآن الكريم لكل أمم الأرض ، من اتبعه فإنه يشفى من الداءات ويسعد فى حياته . وأى مجتمع تحدث فيه أمراض وشقاء . يمكن أن يعالجها . من صيدلية القرآن الكريم .

إذن فمعجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانها للخلق كل الخلق . جاءت لتعالج الانحرافات فى المجتمعات كلها . وهذا هو الفرق بين معجزات الرسل السابقين . ومعجزة القرآن .

القرآن نزل معجزة لغوية للعرب . يتحداهم فى البلاغة وعلوم اللغة . ولكنه نزل أيضا معجزة لكل خلق الله المختارين . وهذا قمة التحدى . . والقرآن تحدى الإنس والجن فى اللغة عند نزوله . وبمعجزاته .

ولكن لماذا تحدى الجن فى اللغة ؟ لأن العرب كان كلما ظهر فيهم متفوق فى اللغة والبلاغة قالوا إن له شيطانا يوحى إليه . ولذلك جاء القرآن ليتحداهم . ومعهم الجن أيضا .

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾

(آية ٨٨ من سورة الاسراء)

ومن الغريب أن التحدى بدأ بأن يأتوا بمثل هذا القرآن . ثم تنازل التحدى بأن يأتوا بعشر سور مثله . فلم يستطيعوا . ثم

تحداهم بسورة واحدة فلم يفعلوا .

إن تقليل الأشياء الْمُتَحَدَّى بها والتدرج بها من الكثرة الى القلة هو إمعان فى التحدى . ووثوق بأنهم لن يصلوا إلى مواجهة التحدى مهما ضعف المطلوب منهم . ولو أن هذا القرآن من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم . . ما نزل التحدى إلى سورة ، لأنه مادام الرسول صلى الله عليه وسلم منهم . ويقول مثل هذا الكلام المعجز . فكيف يأمن ألا يكون هناك واحد منهم قادر على أن يقول مثله ؟

إذن فالاصرار على التحدى . وتخفيف المطلوب . معناه وثوق فى عجز أولئك المقصودين بالتحدى . . وهذا لا يكون إلا لأن القرآن من عند الله سبحانه وتعالى . .

الفرق بين معجزات الرسل

ومعجزات الرسل السابقين . كل معجزة تناسب مدة رسالة الرسول . وهذا هو الزمن . ومكان رسالته . وهذا هو المكان . لأنه لابد من زمان ومكان لكل حدث . فالمعجزة . تأتى على قدر ذلك .

فإذا كان المكان صغيرا . والزمن قصيرا . تأتى المعجزة على قدرهما ، ولكن معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لابد أن تأتى مستوعبة لكل زمان ولكل مكان . ولذلك ختمت الرسالات . برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

ولم يقتصر القرآن الكريم على معجزة اللغة . بل جاء بمعجزات لغير العرب . لأنه لو تحدى العرب وحدهم . فى اللغة فقط ، لقالت الأمم الأخرى التى لا تنطق العربية ، إن هذا القرآن لا عطاء له لنا . لأنه معجزة لغوية للعرب . ولذلك جاء القرآن الكريم بمعجزات لكل الدنيا . كشف حجاب الزمن الماضى . وروى لنا ما حدث للرسل السابقين . وكان اتباع هؤلاء الرسل لطول الزمن قد أصابتهم الغفلة . وبدلوا وغيروا فى منهج الله تعالى . . فجاء القرآن ليصحح هذا التبديل والتغيير . بإعجاز مذهل لم يستطع أحد من أتباع الرسالات التى سبقت القرآن . أن ينكره .

واقرأ فى القرآن الكريم الآيات التى تبدأ بقوله تعالى :

« وما كنت » فى قوله تعالى :

﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾

(الآية ٤٤ سورة القصص)

وقوله سبحانه :

﴿ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ﴾

(من الآية ٤٥ سورة القصص)

هذه الآيات وغيرها . التى تحدثت عن الرسل السابقين . حديثا لم يكن من الممكن أن يعلمه محمد النبى الأمى الذى لم يقرأ كلمة واحدة فى حياته . .

نقول ان هذه كانت كافية ليؤمن أهل الكتاب وهم يعلمون أن محمدا عليه الصلاة والسلام لم يتلق علما على يد أحد . فمن أين جاء بهذه المعلومات خصوصا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم موجود عندهم صفاته فى التوراة والانجيل ، ومطلوب منهم أن يؤمنوا به لأنه الرسول الخاتم . واقرأ قوله تعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾

(من الآية ١٥٧ سورة الأعراف)

إذن فالقرآن الكريم واجه أهل الكتاب بما حدث منهم مع أنبيائهم ، وواجههم بأن الله سبحانه وتعالى . طلب منهم فى التوراة والانجيل أن يؤمنوا بالنبى الأمى . وذكر لهم أوصافه . وهذا ما لم يكن يعرفه أحد من العرب . فمن أين جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم . إلا أن يكون من عند الله .

جاء القرآن الكريم ليصحح لهم مناهجهم . وما زادوه عليها من افتراءات . وكان هذا إعجازا يكفى لأن يؤمنوا بالإسلام . بل إن الله سبحانه وتعالى ـ إمعانا منه فى التحدى ـ ذكر لرسوله فى القرآن الكريم ما لم يكن يعرفه العرب كلهم . فقال جل جلاله :

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾

(الآية ٤٩ من سورة هود)

لقد أوحى الحق سبحانه وتعالى إلى رسوله صلى الله عليه وسلم بما لم يكن يعلمه أحد من العرب . حتى لا يقال أنه سمع من فلان . أو نقل عن فلان .

وكانت هذه معجزة أخرى لأهل الكتاب . لكى يسألوا أنفسهم من أين جاء محمد عليه الصلاة والسلام بقصص الرسل السابقين وبأشياء لم يكن يعلمها هو ولا قومه ؟!

ولو أن أحداً من قومه علمها لقال الكفار والمنافقون الذين كانوا يحاولون هدم هذا الدين : لقد كنا نعلم هذا . ولكن كون أنهم لم يقولوها . دليل على أنها موحية من الله سبحانه

وتعالى . ولا يعلمها أحد من العرب . كان هذا كافيا لإثبات إعجاز القرآن الكريم . وليؤمن به أهل الكتاب . ولكنهم لم يؤمنوا . .

إذن فالقرآن وقت نزوله كان معجزة لغوية للعرب . ومعجزة لغير العرب من أهل الكتاب ، لأنه أنبأهم بقصص رسلهم . وبين لهم الصحيح منها وما افتروه . ولكنهم مع ذلك لم يؤمنوا . لقد كان القرآن معجزة للعرب فى بلاغتهم . ولأهل الكتاب فى ذكر مناهجهم . وقصص رسلهم . . فلابد أن يكون هناك إعجاز للكافرين أيضا وقت نزول القرآن ، بحيث يجعلهم يؤمنون . وكان لابد أن يكون الأعجاز للكافرين من العرب ومن غير العرب .

فهذا أبولهب . عم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأشد المحاربين لهذا الدين . نزلت فيه الآية الكريمة :

﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴾

(سورة المسد)

هذه السورة الكريمة نزلت فى أبى لهب . وكان كافرا . ومحاربا لدين الله . ونزلت فى أمر اختياري . وهو الإيمان . فالله سبحانه وتعالى خلق الإنسان مختاراً فى أن يؤمن أو لا يؤمن .

قالت الآية : إن أبا لهب سيموت كافراً . وسيدخل النار ، ماذا كان يمكن أن يحدث لقضية الإيمان كله لو أن أبا لهب جمع كفار قريش . وقال لهم : إن محمداً قد قال عنّى كلاما . . يقول إنه منزل عليه من الله تعالى وأننى سأموت كافراً . وسأدخل النار . وأنا أقولها لكم وأمامكم : أشهد أن لا إله إلا الله . وأن محمداً رسول الله . لتعرفوا أن هذا الكلام الذى قاله محمد ليس من عند الله !

ماذا لو نطق بالشهادتين رياء أو نفاقاً ليهدم قضية الدين كله ؟ ألم يكن هناك فى ذلك الوقت كفار دخلوا الإسلام بعد ذلك وحسن إسلامهم . مثل خالد بن الوليد . وعمرو بن العاص وعكرمة بن أبى جهل . هل كان يضمن محمد عليه الصلاة والسلام . أن أبا جهل لن يسلم . ولن يحسن إسلامه كما حدث بالنسبة للباقين . ولكن لأن الله هو القائل : والله هو الفاعل . لم يدر بخاطر أبى جهل أن يستخدم هذه القضية فى هدم الاسلام الذى كان يتمنى أن يهدمه . ومات أبولهب كافرا كما قرر القرآن على مسمع منه .

أليست هذه معجزة كان يجب أن يلتفته إليها الكفار . ويقولوا أن هذا الكلام لا يمكن أن يكون إلا من عند الله ويسلموا .

معجزة حرب الروم والفرس

أما بالنسبة للكفار من غير العرب وقت نزول القرآن فقد كان لهم معجزة أيضا . فقد كانتا أكبر دولتين فى ذلك الوقت الروم والفرس وحدث حرب بينهما . وهزمت الروم ، وكانت الروم أهل كتاب . والفرس كانوا كافرين . وإذا بالقرآن ينزل فى سورة الروم :

﴿ الٓمٓ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ ﴾

(الآية ١ ، ٢ ، ٣ ، ومن الآية ٤ سورة الروم)

من الذى يستطيع أن يتنبأ بنتيجة حرب ستقع بعد تسع سنوات ؟

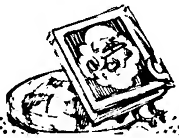
وما الذى كان يضمن أنه خلال هذه السنوات التسع لن يحدث صلح بين الروم والفرس . فلا تقع بينهما حرب ، أو تقع الحرب مرة أخرى ويهزم الروم أيضا .

إن أى قائد لمعركة حربية . لا يستطيع أن يتنبأ بنتيجتها . حتى بعد أن تبدأ المعركة . لأن كل طرف يخفى مفاجآت لا يعلمها الطرف الآخر ، يمكن أن تغير نتيجة الحرب . وما الذى يجعل محمدا عليه الصلاة والسلام يَزُجّ بالقرآن والدين فى مثل هذه القضية المستقبلية التى لم يطلب أحد منه أن يقول عنها شيئاً .

ولو أن نتيجة الحرب قد تغيرت . وهزمت الروم مرة أخرى . أكنا نستطيع أن نقرأ فى صلواتنا هذه السورة الكريمة . والتاريخ يقول لنا إن الروم قد هزمت مرتين ؟ ولكن لأن الله تعالى هو القائل وهو الفاعل . جاءت نتيجة المعركة كما أنبأ بها القرآن الكريم . قبل تسع سنين . وكانت هذه معجزة لو تأمل فيها الفرس وهم كافرون ووجدوا أن القرآن قد تنبأ بهزيمتهم قبل أن تقع الحرب بتسع سنين . أفلم يكونوا يؤمنون . . أليس هذا دليلا كافيا وإعجازا بأن القرآن هو من عند الله سبحانه وتعالى ؟!

وهكذا نجد أن القرآن وقت نزوله . لم يقتصر على المعجزة اللغوية ، ولا على العرب وحدهم ، ولكنه تناول بإعجازه كل الموجودين : أهل الكتاب الذين رفضوا أن يؤمنوا القرآن وبُمحمد صلى الله عليه وسلم ، والكافرون المحاربون للاسلام فى الجزيرة العربية ، والكافرون خارج الجزيرة العربية ، ليشمل بذلك كل الطوائف المحيطة . وكل الديانات الموجودة . وقت نزول القرآن ويتحدى أهل الكتاب والكافرين .

إن القرآن الكريم لم يقتصر وقت نزوله على المعجزة اللغوية فقط ـ وهى معجزة للعرب ـ ولكنه تجاوزها إلى إعجاز لغير العرب ، إعجاز كان يجب أن يلتفت إليه هؤلاء ، ولو التفتوا لآمنوا ، لأن الكلام لا يمكن أن يكون إلا من عند الله . ولو لم يكن من عند الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا . . وكل المعجزات التى حدثت لا يمكن أن يأتى بها إلا الله سبحانه وتعالى .



القرآن خاطب كل الأجناس

وهكذا نرى أن الإعجاز القرآنى . لم يهمل أحداً من الطوائف والاجناس التى كانت موجودة وقت نزوله فى الجزيرة العربية وما حولها . تلك التى كان من الممكن أن يكون بينها وبين العرب نوع من الاتصال . لأنه فى ذلك الوقت كانت هناك أماكن بعيدة لم يصل اليها المسلمون إلا فيما بعد .

قد يقول بعض الناس إن الإعجاز القرآنى إذا كان قد وصل للعرب ، ومن حولهم من الأمم ، فإنه لم يصل إلى بقية العالم . فالعالم فيه أوربا وأمريكا وآسيا وغيرها من القارات . . فلماذا لم يشمل الاعجاز هذه الأمم ؟

نقول إن المعجزة جاءت لتثبت صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى البلاغ عن ربه لأمته التى بدأت منها الدعوة أول الأمر ، وهؤلاء عندما يؤمنون ، ينصرون رسول الله صلى الله عليه وسلم وينشرون الاسلام فى هذه البقاع ، ثم يأتى إعجاز آخر . . فهذه الأمة العربية أمة بدوية أمية ، لا تعرف شيئا . فليس لها ثقافة ، ولا حضارة عريقة مثل الروم والفرس فى ذلك الوقت . ولذلك يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ
وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾

(آية ٢ من سورة الجمعة)

إذن فهذه الأمة الأمية التى لا تعرف إلا القبيلة وشيخ القبيلة الذى يحكم بلا قانون ، فإرادته هى القانون . . هذه الأمة التى لا تعرف القانون ، تخرج لتهاجم حضارتين قويتين أرقى منها وهما الروم والفرس . وكانتا فى ذلك الوقت مثل الاتحاد السوفيتى وأمريكا الآن . لديهما نظام وقانون وحضارة وفنون فى كل نواحى الحياة .

كيف استطاعت هذه الأمة الأمية أن تتغلب على هاتين القوتين الكبيرتين ؟

هذه هى معجزة أخرى من معجزات القرآن . فلو كان العرب أمة مثقفة متعلمة . لقالوا هذه طفرة حضارية ، ولكن لأن هذه الأمة لم تأخذ منهجها عن أحد من البشر ، ولم يضع لها المنهج كبار رجال القانون والفكر فى ذلك الوقت . ولكنها أخذت منهجها من الله سبحانه وتعالى مباشرة . إتبعت تعاليم الاسلام التى جاءت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبهذه التعاليم وحدها ، ودون حضارة البشر ، ودون علم الأرض . . استطاعت أن تَسُودَ الدنيا كلها ، وأن تهزم أكبر حضارتين بشريتين فى ذلك الوقت . وكانت الهزيمة سريعة وفى وقت قصير . لا يتناسب مع عظمة وحضارة القوة الدنيوية التى أخذ بها الروم والفرس . بل تهاوت فارس والروم أمام العقيدة الإسلامية وتعاليم الله .

إن هذا المنهج ـ وهو الإسلام ـ حقق معجزة أخرى . مؤداها أن من يتبع منهجه يسود العالم ، وتنهار تحت أقدامه الحضارات . إن الله سبحانه وتعالى وضع فى منهجه ما يعطى الإنسان المسلم السيادة فى الأرض ، ولو تمسك بما جاء فى

هذا المنهج . . لما استطاعت حضارات الدنيا كلها أن تقف فى وجهه . . وكان هذا معجزة . . ومعجزة كبيرة .

ولم يقف إعجاز القرآن عند عصر نزوله . ولانه الدين الخاتم . كان له فى كل عصر معجزة . وإذا قرأت الآية الكريمة :

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾

(من الآية ٥٣ سورة فصلت)

لعرفت أن القرآن الكريم جاء بآيات كونية . تكشف عن إعجاز لكل البشر . فالقرآن ذكر لنا كروية الأرض ودورانها حول نفسها ، وتحدث عن السماء وعن الفضاء الهائل ، وتحدث عن البداية الواحدة للكون ، وتحدث عن البرازخ بين البحار ، وتحدث عن أعماق البحار ، وتحدث عن باطن الأرض . . كل هذا من آيات الكون التى لم نعرفها نحن إلا فى هذه الأيام . . بعد التقدم العلمى المذهل فى شتى المعارف والعلوم .

وتحدث القرآن كذلك عن أسرار الجسد . . فبين لنا أن الأعصاب موجودة تحت الجلد مباشرة ، وأظهر لنا تطور الجنين فى بطن أمه مما أدهش أكبر علماء الأجنة فى العالم ، وحدثنا أيضا كيف أن العين لا ترى بذاتها . ولكن بانعكاس الضوء عليها . . وغير ذلك مما فى أنفسنا . . ومما تناولناه بالتفصيل فى كتاب الأدلة المادية على وجود الله . .

وهكذا يعطينا القرآن الكريم . إعجازا فى كل جيل يتناسب مع حركة الحياة فى هذا الجيل . فإذا كان الأعجاز فى الآيات الكونية . . وجدنا القرآن الكريم قد أشار إليها ، وإذا كان الاعجاز فى الاكتشافات الطبية . وجدنا القرآن الكريم قد سبق بها . . وإذا كان الاعجاز فى الاكتشافات التاريخية . وجدنا القرآن الكريم قد ذكرها .

لقد قص علينا قصة يوسف عليه السلام وأخوته ، وكيف أن حاكم مصر كان يسمى فرعون . . فيما عدا قصنة يوسف ، فَلُقِّبَ بالملك ثم ظهر بعد كشف حجر رشيد ومعرفة الرموز والكتابات الموجودة على المعابد أن يوسف عليه السلام . كان فى عهد الهكسوس الذين حكموا مصر فترة فى العصور الأولى ، وأن هؤلاء الهكسوس . كانوا يلقبون رئيس الدولة بلقب الملك . وهذا مادلت عليه الآيات فى سورة يوسف فى قوله تعالى :

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾

(آية ٥٤ من سورة يوسف)

وبإيجاز نقول : إن عطاء القرآن عطاء متجدد لكل جيل . . وأن هناك فارقا بين معجزات الرسل السابقين ومعجزة القرآن الكريم ، فمعجزة الرسل تختلف عما جاءوا به فى مناهجهم . . بينما معجزة الاسلام وهى (القرآن الكريم) هو نفس المنهج .

وكيف أن معجزة القرآن شملت المسلمين وغير المسلمين . . والعرب والعجم . . وكيف أنها منهج محفوظ

بالمعجزة . ومعجزة محفوظة بالمنهج .

ويبقى أن نتحدث عن المعجزات المادية لرسول الله صلى الله عليه وسلم . . تلك المعجزات التى حدثت فى حياة الرسول عليه الصلاة والسلام . وما أكثرها ، وذلك حتى لا يقول أحد إن رسول الله عليه الصلاة والسلام لم يعط معجزات مادية كباقى الرسل . وهذا هو موضوع الفصل التالى .

الفصل الثالث



المعجزات المادية لرسول الله

معجزة القرآن باقية إلى يوم القيامة . وقد بينا كيف أنها تختلف عن معجزات الرسل السابقين . لقد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بدين خالد وخاتم ، وغيره من الرسل جاءوا بأديان نسختها غيرها .

هؤلاء الرسل كانت رسالاتهم موقوته زمانا ومكانا . وكانت لهم معجزات كونية والأمر الكونى هو الذى يكون له وجود وينتهى . يحدث مرة واحدة ، ولا يتكرر . . فمن رآه قال شهدته ، ومن لم يره يصبح أثرا . ويقال حدث كذا وكذا .

موسى عليه السلام . ضرب البحر بعصاه فانفلق . الذى رأى هذه المعجزة آمن بها ، والذى لم يرها أصبحت عنده خبرا . ونحن نؤمن بها لأن الله أخبرنا عنها فى القرآن الكريم .

ولكن لماذا كانت معجزة موسى عليه السلام وقتية . . حدثت مرة واحدة وانتهت ولم تتجدد ؟ والجواب هو أن فترة رسالته محدودة ، وسوف يأتى بعدها أجيال يكذب بعضها البعض . إنما الاسلام رسالة خاتمة . ستغطى الزمن كله . ولذلك فلابد أن تصاحب المعجزة المنهج .

ومعجزة رسول الله الكبرى (وهى القرآن) جاءت معجزة عقلية ولم تأت معجزة كونية ، حتى تتفق فيها كل الألسن وكل العقول . ولا تنطفىء أبدا . بل يكون عطاؤها مستمرا عبر الاجيال .

ولكن هذه المعجزة الخالدة المتجددة . لا تمنع أنه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم معجزات كونية لمعاصريه الذين يستقبلون البلاغ عن النبى صلى الله عليه وسلم . لإثبات نبوته ، وتثبيت المؤمنين .

هذه المعجزات شهدها المؤمنون الذين كانوا معه . فازدادوا ايمانا وتمسكا بالاسلام . وهم يرون هذه المعجزات تخرق قوانين الكون ، وتميزت بأنها حدثت فى عهد النبوة وهى مستمرة حتى الآن .وهذه نقطة لابد أن نلتفت اليها .

فرسول الله صلى الله عليه وسلم علمه الله من أنباء الغيب ما يجعل له معجزات كونية متجددة . وإذا أردنا أن نضرب لهذا مثلا ، نأخذ ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أحداث الدنيا التى ستقع وما تحقق منها . .
نبوءات رسول الله صلى الله عليه وسلم التى تحققت هى معجزات متجددة لإثبات صدق رسالته صلى الله عليه وسلم .

ولقد كشف الله سبحانه وتعالى من غيبه لرسوله الكثير وأطلعه على ما هو قادم . ونحن نعرف أنه لا أحد يعلم الغيب إلا الله . ولكن تلك خصوصية لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فهو لم يكن يعلم الغيب ولكن علمه الله سبحانه وتعالى ما يشاء من غيبه .

واذا كنا نتحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه رسول آخر الزمان . أو الرسول الخاتم الذى لن يأتى رسول بعده الى يوم القيامة . نقول إن النبوءات التى حدثنا عنها محمد صلى الله

عليه وسلم . هى معجزات تتجدد مع الزمن .

عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : « عرضت لنا ونحن نقوم بحفر الخندق صخرة . لا تأخذ فيها المعاول (لا تفتتها المعاول) فاشتكينا ذلك للرسول صلى الله عليه وسلم ، فجاء وأخذ المعول من سلمان الفارسى رضى الله عنه . وقال باسم الله ، ثم ضربها فنثر ثلثها . وخرج منها نور أضاء ما بين لأبتى المدينة . فقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام . والله إنى لأبصر قصورها الحمر من مكانى الساعة . ثم ضرب الثانية فقطع ثلثا آخر . فبرقت برقة من جهة فارس ، أضاءت ما بين لأبتيها . فقال الله اكبر . . اعطيت مفاتيح فارس . والله إنى لأبصر قصر المدائن الأبيض من مكانى هذا (أى مدائن كسرى) وأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليهم . فأبشروا بالنصر . ثم ضرب الثالثة ، وقال باسم الله فقطعت بقية الصخرة وخرج نور من جهة اليمن . أضاء ما بين لأبتى المدينة . حتى كأنه مصباح فى جوف ليل مظلم . فقال الله اكبر أعطيت مفاتيح اليمن . والله إنى لأبصر أبواب صنعاء من مكانى الساعة » .

تنبؤات المستقبل إعجاز للرسول

ولقد حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن انتشار الدولة الاسلامية شرقا وغربا قبل وفاته . ولقد تحققت جميع نبوءاته وقامت الدولة الاسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها . ولم تمتد شمالا إلى أوربا أو جنوبا إلى افريقيا . وأن يخبرنا رسول الله عليه الصلاة والسلام عن هذه الفتوحات قبل أن تقع . ثم تقع . فإنها تصير معجزة فى أيام وقوعها . ونقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نبى ورسول صادق فى التلقى عن ربه . والدليل على ذلك أنه أنبأنا بما سيقع ووقع . . فعندما تفتح هذه الاقطار يتجدد إيمان المؤمنين بالاسلام ، والذين لم يؤمنوا وتبلغهم هذه المعجزة . فإنها تلفتهم إلى صدق رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فالنبوءات القريبة مثل فتح فارس والشام واليمن وواقعة الجمل . والتنبؤ بقتل الحسين وغير ذلك . . أليست تثبيتا للمؤمنين على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صادق فى التبليغ عن ربه ؟

وماذا كانت المعجزات الحسية عند الرسل السابقين ؟ ألم تكن تثبيتا للايمان ولفتا للكفار أن يؤمنوا ؟

عندما لم تحرق النار ابراهيم . . ألم يكن هذا تثبيتا للذين آمنوا بإبراهيم . ولفتة إلهية للذين كفروا .

وموسى عليه السلام ، حين شق البحر بعصاه . ألم تكن هذه تثبيتا لمن آمنوا به . ومعجزة للذين لم يؤمنوا . حتى أن فرعون حين نزل إلى البحر وهو يغرق أعلن ايمانه . .

وفى هذا يقول القرآن الكريم :

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾

(من الآية ٩٠ من سورة يونس)

وكذلك نبوءة فتح الشام وفارس واليمن . ألا تثبت الايمان فى قلب كل مجاهد مؤمن بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنبأ بهذا وقد حدث . . فهى معجزة تثبت الايمان . . وتلفت غير المسلمين إلى أن دين الاسلام هو الدين الحق .

فإذا انتقلنا بعد ذلك إلى ما أخبرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم وما تحقق منه الآن . . نجد أن النبى قد أخبرنا أنه من العلامات الصغرى للساعة قوله صلى الله عليه وسلم : « وأطاع الرجل امرأته وعق أمه ، وَوَدَّ صديقه ، وأقصى أباه وأن يكون الولد غيظ أبيه وأمه » . . ثم نرى ذلك يحدث أمامنا . فنرى الرجل يطيع زوجته ويعق أمه ويود اصدقاءه ويهجر أباه . نراها أمامنا الآن فى كل بيت . ونسمع شكوى الأمهات ، من معاملة ابنائهن . وكيف ان الأبن الآن يأخذ أمه ليضعها فى دار المسنين إرضاءً لزوجته . وكيف أن الأب العجوز لا يجد حبا ولا حنانا من ابنه .

العلامات الصغرى للآخرة تحققت

حينما نرى أمامنا هذه الاحداث تقع كما انبأنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم . . ألا يثبت إيماننا . ونقول : صدقت يا رسول الله . أنك النبى الحق . لقد نبأتنا عما سيحدث بعد ألف وأربعمائة سنة وتحقق فعلا . . أليس هذا مثبتا للايمان . .

ألا يمكنك وأنت تدعو إنسانا بأن يؤمن ، أن تقول له إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبرنا بما سيحدث بعد أربعة عشر قرنا . . وها هو ذا الآن يحدث أمامنا ونراه . فأى اعجاز تريد بعد ذلك ؟! .

إن كل نبوءات الرسول صلى الله عليه وسلم من ضياع الأمانة وزخرفة المساجد وإعطاء الشيء لغير أهله . وأن يسود الدولة منافقوها . وأن يضيع الحق بين الناس . وأن يستحل الكذب وأن تكون هناك نساء كاسيات عاريات . وأن تنتشر القينات والمعازف . وأن يتصنع الناس الورع والتقوى . وأن يصدق الكاذب ويكذب الصادق ، ويؤتمن الخائن ويخون الأمين . . ويلعن آخر الأمة أولها . ويكرم الرجل مخافة شره . وأن يكون التعلم لغير الدين . وأن يستخف بالدماء . فيقتل الأبرياء كما نرى الآن فى حوادث السيارات الملغومة والقنابل الموقوتة والحروب الصغيرة . . ألم يحدث كل هذا ؟

أليست هذه كلها معجزات متجددة لرسول الله صلى الله عليه وسلم تتحقق على مر الزمن . من الذى كان يستطيع أن يشق غيب المستقبل ويروى لنا أحداثا ستقع فيه بعد أربعة عشر قرنا

إلا رسول أمين له أعلى مقام عند ربه . . فإذا كانت هناك معجزات حسية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الرسالة . فهناك معجزات نراها الآن أمامنا تحدث .

ويصف رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا المجتمع الذى نعيش فيه الآن ، وكأنه يعيش معنا فى هذه اللحظة . وننظر حولنا فنرى هنا نبوءة تتحقق . . وهناك نبوءة أخرى تتحقق أخبرنا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم . . اذا لم يكن هذا اعجازا . فما هو الإعجاز إذن ؟

وهكذا أراد الله جل جلاله ، ألا تقتصر المعجزات الحسية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على زمن رسالته ، بل تمتد إلى آخر الزمان . فهناك العلامات الكبرى لقيام الساعة . التى لم تتحقق حتى الآن . وهذه للأجيال القادمة . فكأن لكل جيل معجزة من معجزاته صلى الله عليه وسلم :

هذه لفتة لابد أن نلتفت إليها . لنعلم أنه كما ان رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم معجزة متجددة حتى قيام الساعة . فإن نبوءاته معجزات متجددة .

ألم يخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يحدث الآن بالنسبة للسنة النبوية حيث قال : « ألا إنى أوتيت الكتاب ومثله معه . ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن . فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه . وما وجدتم فيه من حرام . فحرموه . ألا لا يحل لكم الحمار الأهلى . وكل ذى ناب من السباع » أخرجه أبوداود والامام احمد فى مسنده .

والآن نرى هذا يحدث أمامنا من محاولات لإنكار السنة ، وإدعاء انها غير ملزمة للمسلمين . وأن من تركها لا يعاقب !

ونحن نقول لهؤلاء : اذا تركنا السنة فكيف نصلى ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى علمنا كيفية الصلاة . وعدد ركعات كل فروضها . وأوقاتها . وكيف نؤدى مناسك الحج ورسول الله هو الذى حددها لنا .

ان مجيء مثل هؤلاء الناس ، الذين يطعنون فى السنة يعتبر تصديقا لمعجزة من معجزاته صلى الله عليه وسلم . ولو لم يأتوا لقلنا : لقد أنبأنا رسول الله ان هناك رجالا سيأتون ويطالبون المؤمنين بترك السنة . ولكن أحدا لم يأت ولم يطالب بتركها . ولكن كَوْنْ هؤلاء أتوا وطالبوا . فهم يثبتون إيماننا . ونقول : لقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى أخباره لنا عما سيحدث . فكأن هؤلاء غير المؤمنين . قد ثبتوا الايمان . . وكل ما فى الكون من أحداث مثبت للايمان .

معجزة حسية ومعجزة مستقبلية

إذن فالمعجزات الحسية ، قد حدثت للرسل السابقين لرسول الله صلى الله عليه وسلم . . فلماذا وهى قد وجدت لمثله صلى الله عليه وسلم من الرسل . ألا توجد لرسولنا الكريم وقد أخذ درجة أفضل من الرسل ؟ فلا يصح أن يحرم الفاضل مما أخذه المفضول . ولذلك فإن وقوع معجزات كونية أو حسية لرسول الله صلى الله عليه وسلم شيء لا يستغرب .

المطلوب منا أن نتأكد من صحة الرواية . فإذا كانت الرواية صحيحة ، فلابد أن المعجزة قد حدثت . إننا نصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أبلغنا عنه الله . ولم يكن هناك شاهد منا على الوحى . بل كان لقاء جبريل عليه السلام مع رسولنا صلى الله عليه وسلم يتم خفية عن أعيننا وآذاننا . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يبلغنا بما جاء به جبريل من عند الله .

ونحن نعرف عن رسولنا عليه الصلاة والسلام امانة البلاغ . فكيف نصدقه فى هذا كله . ثم نكذبه عليه الصلاة والسلام فيما قال . .

وعندما حدثت معجزة الاسراء والمعراج وعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة . لم يصدق الكافرون ولا بعض المؤمنين ما حدث . . وقالوا لأبى بكر رضى الله عنه إن صاحبك يقول إنه أُسْرِىَ به إلى بيت المقدس . وعرج إلى السماء السابعة وعاد فى

ليلة . لقد قاسوا المسألة بعقولهم هم . ولو تأملوا قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾

(من الآية ١ من سورة الاسراء)

لعرفوا أن محمدا عليه الصلاة والسلام لم ينسب الفعل إلى نفسه ولم يقل سَرَيْتُ من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى . . وإنما قال أسْرِىَ بى .

إذن الفاعل ليس محمدا عليه الصلاة والسلام . ولكن الفاعل هو الله جل جلاله . والفعل لابد ان ينسب لقوة الفاعل . والله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء . . لقد أُسْرِىَ به محمولا على قوة أخرى . فلابد أن نقيس الفعل بقدرة الله جل جلاله .

عندما قالوا لأبى بكر رضى الله عنه أن محمدا يَدَّعِى أنه أُسْرِىَ به من المسجد الحرام إلى بيت المقدس وعاد فى نفس الليلة ، ونحن نضرب إليها أكباد الأبل شهرا . ماذا قال أبوبكر ؟ قال : إن كان قد قال فقد صدق ، لأنه يعلم أن رسولنا صلى الله عليه وسلم لا يقول إلا حقا .

ويجب أن نأخذ هذا المنهج ونحن نناقش معجزات نبينا عليه الصلاة والسلام . وكل ما هو مطلوب منا ـ كما قلت ـ هو أن نتأكد من صحة الحديث . . ثم نقول مثل أبى بكر : ما دام قد قال فقد صدق .

الرسول انفرد بمعجزة كبرى

انفرد رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل خلق الله منذ عهد آدم إلى يوم القيامة بمعجزة كبرى .. هى معجزة الإسراء والمعراج . فى هذه الليلة المباركة صعد إلى السماء السابعة . وتجاوز سدرة المنتهى . ثم عاد إلى الأرض . ولم يحدث . أن أطلع الله جل جلاله عبدا من عباده على ملكوت السماء بمن فيها وما فيها ، إلا رسولنا عليه الصلاة والسلام . فالحق سبحانه يقول :

﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾

(آية ١٨ من سورة النجم)

ولم يحدث لنبى أو رسول قبل محمد عليه الصلاة والسلام ، أن رأى الآية الكبرى فى السماء . هناك رسل رأوا آيات الله فى الارض مثل موسى عليه السلام الذى قال عنه القرآن الكريم :

﴿ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴾

(الآيتان ٢٢ ، ٢٣ من سورة طه)

ولكن موسى عليه السلام ، لم يصعد إلى السماء وهو حى ليريه الله الآية الكبرى فى ملكون السماوات . ولكنه رأى الآية الكبرى على الأرض . أما رسولنا صلى الله عليه وسلم فقد رأى آيات ربه الكبرى فى السماء .. وفرضت الصلاة بالأمر المباشر من الله لرسوله . والمعجزة مازالت آثارها ممتدة . وستظل ممتدة الى يوم

القيامة . فكلما صلينا رفعت صلاتنا إلى الله سبحانه وتعالى ليتقبلها . فكأن كل صلاة فيها من معجزة المعراج .

أنت تصلى فى الأرض وترفع صلاتك إلى الله سبحانه وتعالى . على أن رسولنا صلى الله عليه وسلم ـ وقد أرسل للعالمين ـ كانت له معجزات كونية مع كل أجناس الأرض . . كانت له معجزات مع الجماد ، ومعجزات مع النبات . ومعجزات مع الحيوان . بجانب معجزاته صلى الله عليه وسلم مع الإنسان . لماذا ؟ لأنه الرسول الخاتم والشامل . والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

(الآية ٥٦ من سورة الذاريات)

فكأن علة الخلق هى العبادة . والذى يمثل قمة العبادة لله هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى أُرْسِلَ ليحقق العبودية التى يريدها الله سبحانه وتعالى ونحن نقتدى به . ونفعل مثلما يفعل . . والله سبحانه وتعالى يقول لنا :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾

(الآية ٢١ من سورة الاحزاب)

وقال جل جلاله :

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾

(من الآية ٧ من سورة الحشر)

إذن فرسول الله صلى الله عليه وسلم يمثل قمة العبادة ، التى لابد أن نقتدى بها ونفعل مثلها . فإذا كانت هذه هى الحقيقة . . فإن له صلى الله عليه وسلم معجزات مع كل اجناس الكون .

ونحن نأخذ من معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم مما رواه الصحابة . وهؤلاء الصحابة الذين أمناهم على ان يوصلوا لنا القرآن الكريم . لا يمكن أن نَأْمَنَهُمْ ونصدقهم فى القرآن . . ثم نكذبهم فيما رووه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

واذا كانت المعجزات الكونية قد حدثت للرسل . فإنها ليست شيئا غريبا أو شاذا بالنسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم . ورسولنا عليه الصلاة والسلام جاء رحمة للعالمين لكل الاجناس . والمخلوقات ، وكلها تجاوبت معه . لأنه مرسل اليهم . والعلماء حين أرادوا أن يفسروا قول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾

(الآية ١٠٧ من سورة الانبياء)

قالوا : العالمين جمع عَالَمْ . وما هو الْعَالَمْ ؟ العالم هو كل ما سوى الله سبحانه وتعالى . فكل شيء غير الله ، اسمه عالم ، فنقول عالم الغيب وعالم الملكوت وعالم الملائكة وعالم الذر وعالم الجن وعالم الإنس .

ومادام الرسول صلى الله عليه وسلم قد ارسل رحمة للعالمين ، فلابد أن يكون كل عالم من هذه العوالم له شيء من الرحمة ، وأن كل عالم من هذه العوالم يعطى لرسول الله صلى الله عليه وسلم

ما يثبت به الايمان فى قلوب المؤمنين . ويجعل الكفار يلتفتون إلى صدق رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم علهم يؤمنون فلا تتعجب اذا كانت العوالم كلها قد آمنت برسول الله صلى الله عليه وسلم وجمعها شاهد على صدق رسالته . .

فعالم الغيب أعطى منه الرسول صلى الله عليه وسلم ما يؤكد لنا صدق رسالته ، وعالم الملكوت رآه رسولنا عليه الصلاة والسلام وعرف من أسراره ما شاء له الله أن يعرف ، وعالم الملائكة كان يأتيه جبريل أقرب الملائكة الى الله ، وينزل عليه بالوحى . بل كان يأتيه على صورة بشر ، ويجلس معه أمام أصحابه ولذلك عندما نقرأ قول الصحابة عن مجلسهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قالوا :

« بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ دخل علينا رجل شديد بياض الوجه . شديد بياض الثياب لا يرى عليه أثر السفر . ولا يعرفه منا أحد . فجلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع يده على فخذيه وقال يا محمد ما الاسلام ؟ : قال أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله . . وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة . . وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت إليه سبيلا . . قال صدقت .

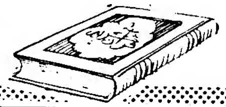
قال فما الايمان ؟ قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره . . قال صدقت .

قال : متى الساعة . . قال ما المسئول عنها بأعلم من السائل . .

قال : فما اشراطها . . قال : أن تلد الأَمَةُ ربتها وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاة يتطاولون فى البنيان .

فتعجب الصحابة كيف يسأله ويصدقه . . فلما انصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتدرون من السائل . قالوا الله ورسوله أعلم . قال هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم » .

لقد كان جبريل عليه السلام يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم على هيئة بشر ليعلمه أمور الدين ويدارسه القرآن .



عالم الجن

أما عالم الجن وعالم الإنس . . فقد أرسل إليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الجن يسمعونه . . كما جاء فى قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴾

(الآية ١ من سورة الجن)

وبإجمال نقول : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم له معجزات متجددة ، تتحقق على مر الزمن . فإذا سمعنا حديثه صلى الله عليه وسلم عن تطاول الحفاة العراة فى البنيان ، ثم نظرنا إلى ما يحدث الآن . نقول صدقت يا رسول الله . وتكون هذه معجزة قد تحققت . وأن الرسول الكريم مرسل من ربه .

وهناك معجزات تحققت وقت ابلاغ الرسالة . ومعجزات مازالت تتحقق حتى الآن . وكلها تدعم الايمان لمن آمن وشاهد على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم . كما أن كل أجناس الأرض كانت فى خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسالته وكانت له معجزات معها . . وهذا هو موضوع الفصل التالى .

الفصل الرابع



معجزات مع أجناس الأرض

تحدثنا عن معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكيف أنها متجددة على مر الزمن . والمعجزة الكونية ـ كما قلنا ـ هى خرق لنواميس الكون . لتثبيت المؤمنين الذين كانوا فى وقت الدعوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولكن الله جل جلاله شاء أن تبقى معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى . فخرق له قوانين الزمن المستقبل ، وعلمه من أنباء الغيب ، ومما سيحدث ما يؤدى مهمة المعجزة لأجيال كثيرة . . وأوردنا امثلة لهذه المعجزات التى كلما تحققت ثبتت إيمان المؤمنين . ولفتت الكفار إلى صدق بلاغه صلى الله عليه وسلم عن الله . ليقول كل من التفت اليها ورأى صدقها : إنه حقا رسول الله . وهذا الدين حق .

ونحن نتذكر ونرى نبوءة بعد أخرى تتحقق أمامنا ، وكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم مازال مقيما بيننا .

وقلنا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء رحمة للعالمين . ومعنى ذلك أن كل الاجناس التى خلقها الله تنالها هذه الرحمة ، وكل أجناس الكون تشهد بأنه رسول الله .

وقبل أن نبدأ الحديث عن المعجزات الكونية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، سنتناول آية كونية حدثت ، هى انشقاق القمر .

والقصة أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن

يريهم آية . وكان ذلك قبل الهجرة بخمس سنين . فقالوا له : إن كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين ! فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه أن يعطيه هذه الآية . فأنشق القمر . فلقة دون الجبل . وفلقة خلف الجبل . ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى : يا فلان يا فلان اشهدوا . وكان انشقاق القمر فى ليلة الرابع عشر . ومدة الفلق كانت بقدر ما بين العصر إلى الليل (أى أنها استمرت ساعات) .

ولكن : هل اسلموا بعد أن تحقق أمامهم ما طلبوه ؟! لا . . لقد قال الكافرون : سحرنا محمد ! فقال رجل منهم وهو أبوجهل : إن كان سحرنا فإنه لن يستطيع أن يسحر الأرض كلها . فاسألوا من يأتيكم من بلد آخر . فإن كانوا قد رأوا ما رأيتم . فقد صدق ، وإن لم يكونوا رأوا ما رأيتم فهو سحر .

فخرج كثير من بنى قريش إلى مداخل مكة ووقفوا ينتظرون القادمين من السفر ، وسألوهم عن انشقاق القمر . فقالوا رأيناه فلقتين . . فماذا قال الكفار ؟! قالوا : هذا سحر مستمر !

حساب الزمن .. يختلف

إذن فإنشقاق القمر معجزة كونية لرسول الله صلى الله عليه وسلم . مقصود بها ـ ككل المعجزات الكونية للرسل ـ من رآها ، سواء كان مؤمنا ، فيزداد إيمانه . أو كافرا ـ والعياذ بالله ـ فتلقته بقوة إلى الايمان .

والله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم ، أكد معجزة انشقاق القمر فى قوله تعالى :

﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾

(الأيتان ١ ، ٢ من سورة القمر)

الآية هنا تربط بين اقتراب الساعة وانشقاق القمر . ولذلك اختلفوا فى التفسير . . بعضهم قال إن معنى الآية الكريمة هو أن القمر سينشق قرب قيام الساعة . ونسى هؤلاء الحديث الشريف لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعثت أنا والساعة كهاتين ـ وأشار بأصبعيه ـ علامة على قرب الساعة » .

بعض الناس يتساءل : لقد مضى ألف وأربعمائة سنة ولم تقم الساعة . فكيف كانت قريبة من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مع انها لم تقع حتى الآن ؟! نقول لهم ، اقرأوا الآية الكريمة :

﴿ تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾

(الآية ٤ من سورة المعارج)

إن مفهوم الزمن عندنا غير مفهوم الزمن فى تقدير الله سبحانه وتعالى . . فالله جل جلاله يخلق ما يشاء . ولذلك فإن يوما واحدا خلقه الله سبحانه وتعالى يساوى عندنا خمسين ألف سنة . قد تكون الساعة مقدراً لها غدا عند الله سبحانه وتعالى . ولكن اليوم فى تقديره جل جلاله مختلف عن الزمن الذى نخضع له ، والله سبحانه وتعالى هو خالق الزمن . ولذلك فهو سبحانه يستطيع ان يخلق يوما مقداره ألف سنة . ويوما مقداره خمسين ألف سنة ويوما مقداره مليون سنة . وفى هذا يقول سبحانه وتعالى :

﴿ إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا ﴾

(الأيتان ٦ ، ٧ من سورة المعارج)

إذن فالساعة قريبة عند الله تعالى . فإذا طبقنا مقاييس أعمال البشر والزمن الذى يحكمهم . فربما هذا القريب عند الله ، يقاس فى أعمارنا وأحداثنا الدنيوية بآلاف السنين .

ويجب أن نتنبه الى أن كل المعجزات الحسية للرسل ليست مرتبطة بتكليف ايمانى ، لأن كل انسان يأخذها بما يتسع له ايمانه .

وقصة انشقاق القمر عند أبى قبيس التى وردت فى السيرة . رأى الناس ـ ولفترة طويلة ـ نصف دون الجبل ونصف خلفه . .

هذه القصة وردت الينا موثقة . . وعلى فرض أن هناك ادعاءات بأن الناس فى مشارق الأرض ومغاربها لم يروا القمر قد انشق فى تلك الليلة . نقول لهم إننا لن نجادل معكم . وسنفرض أنه لم يره إلا أهل مكة والقوافل القادمة إليها .

القمر آية كونية ولكنه بالنسبة لنا آية ليلية . فالقمر موجود بالنهار ، ولكنه غير ظاهر . لأن ضوء الشمس يغطى عليه ، وبما أن القمر آية ليلية ، فإنه لكى ينشق وتراه الدنيا كلها لابد من توافر شرطين : أولهما ان يحدث هذا الانشقاق ليلا ، وثانيهما أن يكون هناك بلاغ للناس - كل الناس - بالساعة التى سينشق فيها القمر ، حتى يظلوا ساهرين ليروه . .

لكن . . كون المعجزة ليلية ، والناس فى بيوتهم نائمون . ولم يخطروا بحدوث المعجزة . حتى يستيقظوا ليشاهدوها ، فإن كثيرا منهم (أى من غير المقصودين بالمعجزة) لن يتنبهوا إليها .

لقد تقدم العلم الآن وأصبحت هناك تليسكوبات ضخمة ، تلتقط صورا للشمس والقمر والنجوم من على سطح الأرض ، وتليسكوبات أدق تلتقط هذه الصور من الفضاء .

هل إذا أعلن العلماء ووسائل الاعلام الآن متوافرة ومتقدمة ومتاحة للجميع نستطيع أن نجعل الخبر يصل إلى كل بيت فى كل الدنيا فى لحظة واحدة ؟! نقول : إذا قال لنا العلماء أن كسوفا للشمس سيحدث والشمس ضوؤها اقوى من القمر تضىء الكون . هل لو قالوا لنا وأبلغونا إن كسوفا للشمس سيحدث يوم كذا ساعة كذا دقيقة كذا . . من منا سيقف خصيصا لمشاهدة هذا

الكسوف ؟ أقل القليل من علماء الفلك . ولكن الناس ـ عامة الناس ـ لا يتنبهون إلى هذا الكسوف . فيما عدا أولئك المشتغلين بعلم الفلك .

ولو سألت الدنيا كلها ، وقت كسوف الشمس . هل رأيتم كسوف الشمس ؟ تجد أن الاقلية الضئيلة من المتخصصين هم الذين يقولون نعم . والباقون مشغولون بدنياهم .

إذن المعجزة حدثت . والذين يقولون أن الدنيا كلها لم ترها . نقول أى دنيا ؟! لقد كانت أوربا تعيش فى ظلام الجهل . وحتى لو كان هناك تقدم علمى ، فالله سبحانه وتعالى لم يبلغ الدنيا كلها بأنه سيشق القمر لرسوله صلى الله عليه وسلم . ولكن المقصودين بهذه الآية الكونية ـ سواء كانوا مؤمنين أو كافرين ـ هم الذين رأوها .

إن هدف المعجزة المادية بالنسبة لكل الأنبياء ـ كما قلنا ـ هو تثبيت المؤمنين ، ولفت الكافرين إلى صدق منهج الله وصدق رسالة الرسل . . والمقصود من هذه المعجزة هم أولئك الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلبوا منه أن يسأل ربه أن ينشق القمر .

والذين يسألون هل انشق القمر فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ نقول لهم : نعم انشق ، ومعنى الانشقاق اظهار معجزة للذين آمنوا بهذا الدين والذين كذبوا به .

فالمؤمنون الذين كان يشككهم الكافرون فى دينهم

ويجادلونهم ، حينما رأوا هذه المعجزة ، زادتهم ايمانا . أما الكافرون فإما تقودهم المعجزة إلى الايمان ، وإما زادتهم كفرا على كفرهم .

إذن آية انشقاق القمر جاءت لطائفة من المؤمنين الذين يُخشى عليهم أن يتسرب إلى قلوبهم تشكيك الكفار لهم فى عقيدتهم . وللكافرين الذين لا يؤمنون بهذا الدين ليعلموا انه الحق .

ومن معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسية تسبيح الحصى بين يديه .

روى البيهقى والطبرانى عن ابى ذر رضى الله عنه قال : كنت أتتبع خلوات الرسول صلى الله عليه وسلم (عندما يكون مختليا بنفسه) فاغتنمت خلوته . فأتيته وهو جالس ، ليس عنده أحد من الناس ، وكأنى أراه أنه فى وحى . . فسلمت عليه فرد علىَّ السلام . ثم قال : ما جاء بك ؟ قلت حب الله ورسوله . فأمرنى أن أجلس فجلست إلى جنبه ، لا أسأل عن شىء إلا أن يذكر لى . ومكثت غير كثير ، فجاء أبوبكر رضى الله عنه يمشى مسرعا . فسلم عليه فرد عليه الرسول السلام ، ثم قال ما جاء بك ؟ قال أبوبكر : حب الله ورسوله . فأشار إليه أن اجلس . . فجلس إلى ربوة تقابل النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم جاء عمر رضى الله عنه . ففعل ذلك . وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مثلما قال لنا . فجلس عمر بن الخطاب إلى جانب أبى بكر الصديق رضى الله عنه . ثم جاء عثمان رضى الله عنه ففعل مثل ذلك . وجلس إلى جنب عمر رضى الله عنه ثم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصيات سبع . فسبحن فى يده حتى

سمع لهن طنين كطنين النحل وَهُنَّ فى كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أخذهن الرسول وناولهن أبا بكر رضى الله عنه فسبحن فى يد أبى بكر ، ثم أخذهن فوضعهن على الأرض فسكتن . وحدث ذلك مع عمر وعثمان رضى الله عنهما » .

والحديث كما هو مدون يؤكد لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع تسبيح الحصى فى يديه ، ذلك أن الحصى مُسبِّح ، سواء أكان فى يد رسول الله أم لم يكن . فالله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾

(من الآية ٤٤ من سورة الاسراء)

إذن فالحصى يسبح فى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى يد أبي لهب . . فهو يسبح فى يد المؤمن وفى يد الكافر . . ولكن الله أسمع رسوله صلى الله عليه وسلم تسبيح الحصى وستره عنا . . والله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه العزيز :

﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ ﴾

(من الآية ٧٩ من سورة الانبياء)

فالجبال تسبح مع داود ومع غيره . أى ان تسبيح الجبال وافق تسبيح داود . ألم يُعَلِّمْ الحق سبحانه وتعالى سليمان منطق الطير ؟ واقرأ قوله تعالى :

﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ ۖ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾

(الآية ١٦ من سورة النمل)

وفرق بين أن يقول سليمان عليه السلام (فهمنا أو عقلنا) أى فهم بنفسه أو عقله ، وبين أن يقول (عُلِّمْنَا) أى علمه الله سبحانه وتعالى . لأن العلم هو أن تنتفع بمجهود عقلك . ومجهود عقل سواك . أما التعقل فهو مجهود عقلك .

أمّا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع تسبيح الحصى فهذه معجزة له صلى الله عليه وسلم . بينما الصحابة الذين كانوا معه - رضوان الله عليهم - سمعوا شيئا كطنين النحل . فإذا أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سمع تسبيح الحصى فهم سمعوه . ولكنهم لم يفقهوه .

ونبع الماء من بين اصابعه

ونتابع معجزات محمد صلى الله عليه وسلم الحسية . وهى كثيرة جدا أكبر من أن يحاط بها فى كتاب واحد . ولكننا سنروى بعض الأمثلة فقط .

روى البخارى ومسلم عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما قال : عطش الناس يوم الحديبية . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه إناء يتوضأ منه فأسرع الناس حوله وقالوا يا رسول الله ليس معنا ماء نتوضأ به أو نشربه إلا ما بين يديك . فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فى الإناء . فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون !! فشربنا وتوضأنا . . قيل لجابر كم كنتم ؟ قال كنا خمس عشرة مائة . ولو كنا مائة ألف لكفانا .

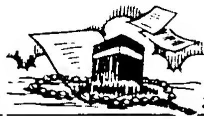
وهكذا نرى أن الله سبحانه وتعالى قد جعل الماء ينبع من بين أصابع الرسول صلى الله عليه وسلم ليكفى جيشا بأكمله . وإذا كان موسى عليه السلام يضرب الحجر بعصاه فينفلق ويخرج منه الماء . فلن نستغرب أن ينبع الماء من بين يديه الشريفتين ليسقى جيش المسلمين .

وقد يتساءل بعض الناس فيقول : لماذا لم ينبع الماء من بين أصابع الرسول صلى الله عليه وسلم دون أن يضع يده فى الإناء ؟

ونقول : إن الله سبحانه وتعالى أراد ذلك حتى لا يأخذ

الرسول صفة من صفات الله وهى الايجاد من عدم . إنما لا مانع من أن يُنَمِّى موجودا . ولذلك عندما وضع رسول الله عليه الصلاة والسلام يده فى الإناء فاض الماء ، حتى شرب الجيش كله وتوضأوا .

وكما أنقذ الله سبحانه وتعالى قوم موسى من العطش بأن جعل الينابيع تتفجر بمجرد ضرب موسى للحجر بالعصى . فإنه أمَدَّ محمدا عليه الصلاة والسلام ـ وهو الرسول الخاتم ـ بمعجزة تنقذ جيش المسلمين من الموت عطشا ؟



أنين الجزع فى المسجد

نأتى إلى معجزة أخرى من معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى فوق الحصر . معجزة حنين جذع النخلة

روى الأئمة البخارى والترمذى واحمد والشافعى وغيرهم أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يخطب مستندا إلى جذع نخلة ، فقد كان المسجد مسقوفا بالجريد . وكانت الجذوع له كالأعمدة . فقال تميم الدارى : يا رسول الله هل لك أن نجعل لك منبرا تقوم عليه يوم الجمعة ، فيسمع الناس خطبتك ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : نعم .. فصنعوا له منبرا من ثلاث درجات .

ولما كان يوم الجمعة صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فَأَنَّ الجذع الذى كان يخطب عليه كما يئن من اصابه فقد أو مكروه !! فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع أنين الجذع فمسحه بيده فسكن ثم رجع إلى المنبر .

هذه إحدى معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الجماد . وعلينا أن نفهمها من منطلق أن رسولنا الكريم أُرْسِل رحمة للعالمين . أى هو رحمة لكل من هم دون الله تعالى . وكان وقوف النبى وهو يخطب مستندا إلى الجذع ، يصيب هذا الجذع برحمات واشراقات . فلما صعد رسولنا الكريم على المنبر أَنَّ الجذع أنينا شديدا ، لأن سيد الخلق ورحمة الله للعالمين تركه وصعد إلى المنبر .. فكيف لا يئن ؟! فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

ومسح بيده على الجذع ، فأصابته الرحمة فسكت .

قد يقول بعض الناس : هل الجماد يحس ؟! وهل تريدون أن تفهمونا أن الجماد يبكى ويضحك ؟! نقول لهم : اقرأوا قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَٰكِهِينَ ۝ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ۝ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴾

(الآيات ٢٥ - ٢٩ من سورة الدخان)

وهكذا نعرف أن الجماد له عواطف ، وأنه يبكى وإن كنا لا نسمع بكاءه . والرسول صلى الله عليه وسلم أخبرنا بقوله المروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه انه قال : (ما من عبد إلا وله فى السماء بابان . باب يخرج منه رزقه . وباب يدخل منه عمله وكلامه . فإذا مات فقداه وبكيا عليه) .

وسئل الامام على رضى الله عنه هل تبكى السماء والأرض على أحد ؟! فقال : أنه ليس من عبد إلا له مصلى فى الارض ومصعد عمله فى السماء ، ثم قرأ قوله تعالى : (فما بكت عليهم السماء والأرض) . وأن آل فرعون لم يكن لهم عمل صالح فى الأرض ولا عمل يصعد فى السماء فلم تبك عليهم السماء والارض .

فإذا كان هذا يحدث ، فكيف لا يبكى الجذع على مفارقة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وما الغرابة فى ذلك ؟ أليست مهمة رسول الله صلى الله عليه وسلم هى إعادة انسجام هذا الكون كله مع خالقه ؟

روى الترمذى عن الامام على كرم الله وجهه قال : كنت أمشى مع النبى صلى الله عليه وسلم بمكة ، فخرجنا بعض نواحيها . فما استقبله حجر ولا شجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله ؟

وهنا نتساءل : هل فهم على رضى الله عنه لغة الاشجار والاحجار حتى يعلم أنها كانت تسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟! نقول نعم . وإلا ما كان رواها . وكيف يروى شيئا يجهله .

الله سبحانه وتعالى علم عليا رضى الله عنه وكرم الله وجهه فى هذه اللحظة لغة الاشجار والاحجار . كما علم الصحابة الذين شهدوا هذه المعجزات الحسية منطق هذه الاشياء . كل بقدر مشاهدته وبقدر ما يجعله يفهم المعجزة التى حدثت أمامه . فهو جل جلاله . لم يعلمهم إلا بالقدر اللازم لفهم المعجزة .

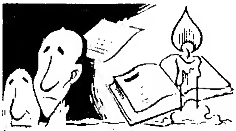
البركة فى الطعام

ولا تنتهى معجزات محمد صلى الله عليه وسلم مع الجهاد . وهى كلها معجزات لتثبيت المؤمنين وزيادة ايمانهم وليعلم الذين فى قلوبهم مرض انه الدين الحق .

لقد صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوبكر رضى الله عنه حين قدما الى المدينة يوم الهجرة طعاما يكفيهما وحدهما . فقال صلى الله عليه وسلم : أدع ثلاثين من أشراف الأنصار فدعاهم فأكلوا حتى شبعوا . ثم قال : أدع ستين ، فأكلوا حتى شبعوا . ثم قال أدع سبعين فأكلوا حتى شبعوا . فلما رأوا هذه المعجزة أسلموا جميعا .

ولقد كان الصحابة يسمعون تسبيح الطعام بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويأكل المئات من قصعة تكفى رجلين أو ثلاثة . وبعد أن ينتهى الجميع من تناول الطعام يتبقى فى القصعة طعام أكثر مما كان فيه . وكأن الطعام يمد بمدد من السماء .

وإذا كانت هذه بعض معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الجهاد وقد رويناها على سبيل المثال لا الحصر . ففيها اثبات بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارسل رحمة للعالمين ، وأن كل اجناس الارض تتسابق إلى خدمته . وهى ترى فى الرسول الكريم الرحمة التى كانت تنتظرها .



ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحاول أن ينسب إليه معجزات أو يتلمس الاسباب . بل إنه صلى الله عليه وسلم حين مات ابنه ابراهيم حدث كسوف للشمس ، فقال الصحابة هذا الكسوف بسبب موت ابراهيم . فما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن توضأ وصلى ركعتين وصعد إلى المنبر فقال : إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، لا تنكسفان لموت أحد ولا لحياته .

وهكذا نرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن فى حاجة إلى معجزات حسية تثبت صدق رسالته ، وأنه عندما رأى الناس ينسبون معجزة حسية إليه وهى لم تكن كذلك . . قام فنفاها بقوة وعزم ، كما نفى أى معتقدات خاطئة عند الناس .

ولكن الواضح الثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت المعجزات تخدمه فى حياته كلها . واذا كان الانبياء الذين أرسلوا قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم معجزة أو معجزتان أو ثلاث . فإن رسولنا الكريم . أوتى من المعجزات ما لا يمكن حصره .

لقد كانت البركة تلحقه صلى الله عليه وسلم أينما ذهب . ففى يوم الهجرة مسح رسول الله صلى الله عليه وسلم على ضرع شاة تملكها إمرأة يقال لها أم معبد ، وكانت الشاة لا تدر لبنا . فمسح

رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة على ضرعها . فامتلأ باللبن ، فحلب وشرب هو وأبوبكر وملأ الإناء لتشرب منه المرأة !

وإذا كان الاعجاز هنا مقصودا به من رأوه ـ لأن أى معجزة حسية لا يقصد بها إلا من رآها ـ فإننا نرد بذلك على الذين يدعون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تكن له معجزات حسية تؤيد رسالته . لأن المعجزة الكبرى جاءت فى منهجه وهو القرآن الكريم . وهو الذى مازال اعجازا حتى الآن وسيظل اعجازا إلى يوم القيامة .

ولكن الله سبحانه وتعالى أراد ان يثبت رسوله والمؤمنين بمعجزات حسية كثيرة . فلم يكن يتركهم ليهتزوا أمام نقص الماء أو نقص الطعام ، وهم المؤمنون الذين ائتمنهم الله سبحانه وتعالى على نشر دينه فى الأرض ، وابلاغ منهج الله إلى العالم كله .

لقد كانت المعجزات تأتيهم . كما أتت الأنبياء السابقين وإن تضاعفت بما يجل عن الحصر . . اكراما لمحمد صلى الله عليه وسلم ، ولم تكن معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقف عند جماد الأرض فقط ، بل امتدت إلى النبات والحيوان والإنسان . بل والجن ايضا . لتشمل كل عوالم هذا الكون .

لقد حدثت معجزات حسية مع النبات . رآها الصحابة . وشهدوا بها . ومع الحيوان والإنسان تثبيتا لإيمانهم وترويحا عن صدورهم ليذوقوا حلاوة الايمان . . من المنهل العذب . . محمد صلى الله عليه وسلم .

وهذا ما سنتحدث عنه فى الفصل التالى .

الفصل الخامس



.. ومعجزات مع
النبات والحيوان والانسان

تحدثنا عن معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الجماد .. وهو جنس من أجناس الأرض .. وذكرنا بعض الأمثلة فقط لمعجزات وقعت ورواها لنا الصحابة الثقات الذين أمناهم على أنهم أوصلوا إلينا القرآن الكريم .. وبنفس الايجاز سنتحدث عن معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم مع النبات والحيوان والإنسان .. فنضرب أمثلة قليلة من معجزات كثيرة حدثت .. لبيان انسجام الكون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

سأل أعرابى النبى عليه الصلاة والسلام أن يريه آية تدل على أنه رسول الله .. فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام مشيرا إلى شجرة قريبة : قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك ، فدعاها فمالت الشجرة عن يمينها وعن شمالها وبين يديها وخلفها .. فتقطعت عروقها ، ثم جاءت تشق الأرض تجر عروقها بغبرة . حتى وقفت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالت السلام عليك يا رسول الله .. فقال الأعرابى لرسول الله صلى الله عليه وسلم : مرها فلترجع إلى منبتها .. فرجعت فدلت عروقها فاستوت . فقال الأعرابى : آمنت بالله وبرسوله وأعلن إسلامه .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجون (يعنى بعض شعاب مكة) كئيبا من إيذاء المشركين له ، فقال : (اللهم أرنى اليوم آية لا أبالى من كذبنى بعدها .. فأُمِر فنادى شجرة قِبَل عقبة أهل المدينة ، فأقبلت الشجرة تخد الأرض (أى تحدث

آخدودا فى الأرض نتيجة إقبالها) حتى انتهت إليه صلى الله عليه وسلم . . ثم أمرها فرجعت إلى موضعها . . فقال عليه الصلاة والسلام : لا أبالى بعد هذا من كذبنى من قومى) .

لقد كان سلمان الفارسى رضى الله عنه عبدا عند يهودى ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يُعْتَق . . فذهبوا الى اليهودى ودفعوا له ما أراد ولكنه اشترط أن يزرع له سلمان مائة نخلة . . وأن يظل يسقيها حتى تُطْعِم (تثمر) . . فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرس له النخل بيديه الشريفتين إلا نخلة واحدة غرسها عمر بن الخطاب . . فأطعم كل النخل (أثمر) فى نفس السنة التى غرسه فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا نخلة واحدة . . فقال النبى عليه الصلاة والسلام من غرسها ؟ . . قالوا : عمر . . فغرسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة فأثمرت فى نفس العام .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى فى طريق لم يتبعه أحد فيه إلا عرف أن الرسول قد سلكه . . من طيب عرقه والرائحة الذكية التى تخرج من جسده الشريف ، وكانت الأحجار والأشجار وكل ما يمر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يشهد له بالرسالة ويسلم عليه .

اجناس الكون وشهادتها للرسول

ان كل جنس من اجناس الكون مقهور . . ولأنها مقهورة فإنها ترى ما لا نرى وتعرف ما لا نعرف . . ولقد أعطانا القرآن الكريم مثلا فى أن الهدهد عرف ما لم يعرفه سليمان عليه السلام . . واقرأ قوله تعالى :

﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ۝ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ۝ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾

(الآيات من ٢٢ - ٢٤ سورة النمل)

من أين عرف الهدهد وهو فى نظرنا طير لا يعقل ؟ . . من أين عرف أن هذه مملكة سبأ . . وأنهم يسجدون للشمس من دون الله . . وأن الشيطان زين لهم أعمالهم فهم لا يهتدون . انها طلاقة قدرة الله الذى لم يقصر علمه على خلق دون آخر أو جنس دون غيره من الاجناس .

بعض الناس قد يسأل عن موقف العقل من هذه المعجزات ؟ . . نقول وما دخل العقل فى المعجزة ؟! ان العقول بطبيعتها تعجز عن إدراكها أو ايجاد تفسير لها . . لأنها لو كانت

أمرا عاديا متكررا متفقا مع العقل ما كانت معجزة . . لأن المعجزة خرق لقوانين الكون المألوفة للانسان وإلا فقل لى : هل يتفق مع العقل أن النار لا تحرق ؟ كما حدث لابراهيم عليه السلام . . أو أن البحر ينشق بعصا موسى ثم يعود مرة أخرى ؟ أو سكينة حادة ثم لا تذبح كما حدث لاسماعيل ، أو الابرص والأكمه يشفيان بلمسة من عيسى عليه السلام ؟ . .

كل هذه أشياء مقصود بها أن تكون معجزة فعلا . . تعجز فيها كل العقول . . ولا تستطيع أن تصل اليها ولا أن تعرف أسرارها . .

إن الله سبحانه وتعالى وهو يثبت رسله إنما يثبتهم بمعجزات تفوق قدرات العقول البشرية حتى يعرف الناس كل الناس أنها من قدرات الله وليست من قدرات البشر .

ولو حاولنا أن نقيس المعجزات بعقولنا لأخرجناها من كونها معجزة . . فحدود العقل فى أمور الدنيا فقط ، ثم تتوقف بعد ذلك . . وإذا حاول أحدنا أن يقيس المعجزة بعقله نقول له قف . . فليست هذه مهمة العقل ، ولا فى مقدوره .

هل تستطيع بالعقل أن تفسر كيف رفع الله الجبل فوق موسى وقومه ؟ وهل الجبل أقل كثافة من الهواء حتى يسبح ويرتفع فيه ؟! واقرأ قوله سبحانه وتعالى :

﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

(الآية ١٧١ سورة الاعراف)

اذا استخدمت عقلك هل تستطيع ان تصل الى سر هذا ؟ الجواب بالقطع لا . . لأن هذه المسألة تحتاج إلى ايمان بأن الله على كل شيء قدير ، وأنه لا يعجزه شيء فى الأرض ولا فى السماء . . وكل شيء خلقه الله سبحانه وتعالى فيه حياة . . نوع من الحياة التى تناسب مهمته والتى لا نفهمها نحن . . وكل شيء مسبح لله خاضع لإرادته .

وكما بكى جذع النخلة وسمع أنينه ، كذلك مشى الشجرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . . وكما قلت أن هذه المعجزات من المعجزات الحسية مقصود بها من رآها ، وكل ما هو مطلوب منا أن نتأكد أن الذى شاهدها ورواها لنا من الثقات الأولين . . أما المعجزات التى ذكرت فى القرآن فهى موثقة بالقرآن الكريم . . كلام الله سبحانه وتعالى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكفى بالله شهيدا .

وعن معجزاته صلى الله عليه وسلم مع عالم الحيوان . . روى لنا الإمام احمد عن يعلى بن مرة الثقفى رضى الله عنه قال : (بينما نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر مررنا ببعير يسقى أصحابه عليه . . فلما رأى البعير النبى عليه الصلاة والسلام أصدر صوتا عاليا ، فوقف النبى صلى الله عليه وسلم وقال أين صاحب البعير ؟ . . فجاء صاحبه . . فطلب منه صلى الله عليه وسلم أن يبيعه له . . فقال صاحب الجمل بل نَهَبُهُ لك يارسول الله . . وأنه لأهل بيت ما لهم معيشة غيره (أى يستعينون به فى حياتهم) . . فقال النبى صلى الله عليه وسلم . . أما إذْ ذكرتَ هذا من أمره فإنه شكا كثرة العمل وقلة العلف فأحسنوا إليه) .

هذه هى معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وكيف لا يشكو البعير لمن جاء رحمة للعالمين لكل أجناس الكون .

هذا البعير يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء رحمة للعالمين . فشكى له ظلم الإنسان . . والله سبحانه وتعالى أعلم رسوله صلى الله عليه وسلم ما يقوله البعير . . حتى يؤدى مهمته بالنسبة لأجناس الكون كلها . . فتدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه رحمة مهداة ورفع الظلم عن الجمل .

قد يقول بعض الناس . . هل فهم الصحابة كلام البعير ؟ . .

نقول سواء فهموه أو اخبرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم . . فإن مجرد إخبار الرسول عليه الصلاة والسلام به يجعلنا نصدق ونتأكد أنه حدث . . لأن الرسول عليه الصلاة والسلام لا ينطق إلا حقا وما ينطق عن الهوى . . والمطلوب منا فقط أن نتأكد أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد قال . . فإن قال فقد صدق .

وإذا كنا سنتحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحمة للعالمين . . فإننا لابد أن نذكر تلك الحُمرَّةِ (طائر صغير كالعصفور) التى أخذ بعض القوم بيضها من عشها . . فجاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تشكو . . فقال عليه الصلاة والسلام من فجع هذه بفرخيها ؟ . . قالوا نحن . . قال : ردوهما رحمة بها .

وتلك الظبية التى مر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى مربوطة إلى خباء أعرابى (مكان إقامته) فقالت يا رسول الله خلى

عنى حتى أذهب لأرضع خشفى (يعنى أولادها والخشف مثل ولد الغزال) . . ثم أرجع فتربطنى . . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت صيد قوم وربيطة قوم . . وحلها فما مكثت إلا قليلا حتى جاءت وقد نقضت ما فى ضرعها (أى اختفى اللبن الذى كان يملأ الضرع) فربطها رسول الله صلى الله عليه وسلم وذهب إلى أصحابها فاستوهبها منهم فوهبوها له فأطلقها .

وذلك الضب الذى جاء به أعرابى فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : واللات والعزى لا آمنت بك حتى يؤمن بك هذا الضب . . واخرج الضب من كمه وطرحه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ضب . . فأجاب الضب بلسان عربى يسمعه القوم جميعا : لبيك وسعديك يا زين من وافى قيامه . . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : من تعبد يا ضب ؟ . . قال الضب : الذى فى السماء عرشه ، وعلى الأرض سلطانه ، وفى البحر سبيله ، وفى الجنة رحمته ، وفى النار عقابه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فمن أنا يا ضب ؟ . . فقال : أنت رسول رب العالمين وخاتم النبيين . . لقد أفلح من صدقك ، وقد خاب من كذبك . فآمن الاعرابى .

بعض الناس يتساءل كيف يستطيع الضب أن يتكلم بلغة عربية ويقول هذا الكلام ؟ نقول لهؤلاء جميعا : ألم تقرأوا قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ

﴿ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾

(الآية ٨٢ من سورة النمل)

إذن فهناك آية كبرى ستحدث قرب قيام الساعة ، وعندما تتقدم الحضارة والمدنية ويظن الناس أنهم أصبحوا يحكمون كل شيء بذاتهم . . فيأتى الله تبارك وتعالى بمعجزة تتحداهم . والعلم قد وصل إلى القمر وإلى المريخ . . وقد يكشف الله سبحانه وتعالى من أسرار علمه للبشر ما يجعلهم يغترون بعلمهم وذواتهم . . فيأتى الله جل جلاله بمعجزة تتحداهم ولا يقدرون عليها . .

إن العلم الذى وهبه الله لخلقه ودلّهم عليه قد يحقق الكثير . . ولكنه علم محدود . . قاصر . . فهو لا يمكن أن يجعل الدابة تتكلم . . فيأتى الله سبحانه وتعالى بدابة من الأرض تكلمهم . . ليريهم عجزهم أمام قدراته جل جلاله . . وإذا كان كلام الدابة يقينا فى القرآن الكريم ولو لم يأت وقته بعد . . فلا تتعجب إذا كان الله تبارك وتعالى يؤيد رسوله بنفس المعجزة . . ليملأ الايمان قلوب الموجودين فى أى مكان وأى زمان !

روينا فى الفصول السابقة بعض معجزاته صلى الله عليه وسلم بالنسبة لبعض أجناس الكون فى السماء والأرض . . من جماد ونبات وحيوان وطير . . إلخ . . وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع الانسان ايضا معجزات كثيرة . . نذكر من بينها ساعة خروجه صلى الله عليه وسلم من بيته مهاجرا . . فقد أحاط ببيته فتية قريش أو أقوى فتيانها يحملون سيوفهم ليقتلوا سيد المرسلين . ولم يكن هناك ـ بأسباب الدنيا ـ نجاة من الخطر . فالرسول صلى

الله عليه وسلم داخل بيته ، وهؤلاء الفتية يحيطون بالبيت . . ولكن الله سبحانه وتعالى أخذ النور من عيونهم ساعة خروج الرسول عليه الصلاة والسلام . . فلم تعد عيونهم ترى شيئا ويخرج الرسول عليه الصلاة والسلام ويمسك حفنة من التراب ويلقيها عليهم وهو يقول شاهت الوجوه وهم لا يتحركون . . بل كأنهم قد سلبت منهم الحياة .

بعض الناس يقول أنهم ألقى عليهم النوم . ونقول : هل ينام الانسان وهو واقف ؟ . . إنه قد ينام وهو جالس أو وهو مضطجع أو وهو راقد . . ولكنه لا ينام وهو واقف . . واذا حدث انه نام وهو واقف فإنه يسقط على الأرض فى الحال . . ولكن هؤلاء الكفرة من قريش ظلوا واقفين وسيوفهم فى أيديهم . . ولكنهم لم يروا شيئا ولم يسمعوا شيئا . . حتى بعد أن ألقى الرسول صلى الله عليه وسلم التراب فوق رؤوسهم لم يتنبهوا بشىء ولم يحسوا إلا بعد أن أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيدا عنهم وأصبحوا لا ينالونه .

تلك إحدى معجزات الهجرة التى حدثت لرسول الله صلى الله عليه وسلم . . ذلك أن العين لا تبصر إلا بإذن الله . . واليد لا تتحرك إلا بإذن الله . . والقدم لا تخطو خطوة إلا بإذن الله . . وقد سلب الله سبحانه وتعالى من عيون هؤلاء الواقفين حول بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قوة الابصار . . وسلب من اجسامهم قدرة الحركة . . وعندما أفاقوا كان كل شىء قد انتهى .

ومن معجزات يوم الهجرة أنه عندما هاجر النبى صلى الله عليه

وسلم هو وأبوبكر الصديق سرا . . جن جنون قريش فأرسلت مناديا ينادى فى قبائل البدو أن من يظفر بمحمد وصاحبه ويعود بهما الى مكة سنعطيه مائتين من النوق الحوامل . .

وطمع سراقة بن مالك وكان فارسا قويا ، فى الحصول على هذه الجائزة ، فركب فرسه وانطلق يريد اللحاق بالنبى وصاحبه . . وحين رآهما واقترب منهما ساخت فرسه فى الرمال الى ركبتيها (أى غاصت أرجلها فى الرمال حتى ركبتيها) فسقط عنها . . وحاول أن ينهضها فساخت مرة اخرى . . فاستغاث سراقة بمن كان يريد قتله (!!) استغاث بالنبى صلى الله عليه وسلم فنهضت فرسه .

لكن سراقة لم يفارقه طمعه فى الثروة بعد النجاة !! فحاول اللحاق بالنبى وصاحبه . . فساخت فرسه مرة أخرى ، فاستغاث برسول الله صلى الله عليه وسلم . . وكرر المحاولة للمرة الثالثة فحدث نفس الشيء !! حينئذ عرف أن الله يحفظ رسوله . فمشى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرض سراقة عليه أن يأخذ من ماله ما شاء ، ولكنه رفض . . فقال يا رسول الله سأرجع من حيث أتيت . . وأريد أن تكتب لى كتاب أمان . . فكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا ثم قال له : كيف أنت يا سراقة اذا لبست سوارى كسرى ؟ (أى ما كان يلبسه فى يديه) . . فقال سراقة كسرى بن هرمز ؟ . . قال النبى نعم . .

ومرت الايام وجاء عهد عمر بن الخطاب . . وانتصر المسلمون على الفرس ، وفر كسرى هاربا . . تاركا كل ما فى قصره من كنوز بينها سوارى كسرى . . ولما جىء بالغنائم الى عمر بن الخطاب وكان سراقة جالسا عنده فألبسه عمر السوارين . . وعندئذ تذكر

سراقة ما قاله رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ففاضت عيناه بالدموع .

وفى غار حراء والرسول مهاجر إلى المدينة . . وصل الكفار إلى باب الغار . . وقال قصاص الأثر : إن آثار الاقدام قد انتهت هنا . . (أى عند مدخل الغار) . . وقال أبوبكر رضى الله عنه . . لو نظر أحدهم إلى موضع قدميه لرآنا . . ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : ما ظنك يا أبابكر باثنين الله ثالثهما . .

إن الرسول الكريم يريد أن يلفت أبابكر إلى انهما فى معية الله تحيط بهما عنايته . . والله سبحانه وتعالى لا يُرى . . ولذلك فإن كل مَنْ فى معيته لا يراهم أحد ولا يستطيع أن يعرف مكانهم . . ولذلك فإنه مهما نظر الكفار فإنهم لن يروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبابكر الصديق . .

ولم يكن نسيج العنكبوت أو بيض الحمامة ، ليمنع الكفار إن دخلوا الغار . فلو أن عقولهم تقول إنه من غير المعقول أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم مختبئا فى هذا الغار . . فإنه كان من الممكن ـ للتأكد ـ أن يدخلوا الغار لتطمئن قلوبهم إلى أنه لا يوجد أحد بداخله . . ولكن الله سبحانه وتعالى وهو المتحكم فى الخواطر والعقول . . جعل ذلك لا يخطر على بالهم . . وحتى لو دخلوا . . لمنعتهم معية الله من الرؤية .

البركة .. للرسول الكريم

كانت حياته صلى الله عليه وسلم تملؤها البركة . . البركة التى كان الصحابة يشاهدونها ويتعجبون لها . .

ما هى البركة أولا ؟

إنها تعطى الشيء اكثر من ظاهره . . فإذا كان هناك طبق من طعام يكفى شخصين . . وجلس أربعة أو خمسة أشخاص فأكلوا حتى شبعوا . . يقال إن هذا الطعام فيه بركة . . أى أن عطاءه اكثر من ظاهره . . فإذا أخذت قطعة قماش مثلا وذهبت الى الترزى فقاسها وقال إنها تنقص نصف متر أو متر عما يكفى لصنع ثوب لك ، ثم قام بقصها فإذا بها تكفى ثوبا وتزيد . . قلنا إن القماش فيه بركة .

رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى يده بركة ، ما أن يضع يده فى طعام إلا ينمو ويزداد ليكفى الكثيرين ويزيد . . كان صلى الله عليه وسلم لا يدعو لانسان ببركة الرزق . . إلا ويزداد رزقه ويفيض عن حاجته . . ما يزرع نخلة إلا وتؤتى ثمارها فى نفس العام .

رسول الله صلى الله عليه وسلم . . كان ذاهبا لزيارة أحد الصحابة وهو أبو طلحة . . عندما سمع أبوطلحة صوت رسول الله عليه الصلاة والسلام وهو قادم اليه . . قال لزوجته أم سليم : لقد سمعت صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا

فعرفت فيه الجوع . . فهل عندك من شيء نقدمه له ؟ . . فقالت نعم . وأخرجت اقراصا من شعير ثم أخذت خمارا لها فلفت الخبز ببعضه . . ثم دسته تحت ثوبى وردتنى ببعضه (أى جعلت بعضه رداء على الرأس) . . ثم أرسلنى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . . فذهبت به ووجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس . . فقمت عليهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلك أبوطلحة فقلت نعم . . فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام قوموا . . فانطلقوا وانطلقت بين أيديهم ، حتى اذا جئت أباطلحة فأخبرته فقال أبوطلحة يا أم سليم : لقد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس . . وليس عندنا ما نطعمهم . . فقالت الله ورسوله أعلم . . فانطلق أبوطلحة حتى لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم . . فأقبل رسول الله عليه الصلاة والسلام معه حتى دخل . . وقال رسول الله هلمى ما عندك يا أم سليم . . فأتت بذلك الخبز نأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففت . . وعصرت عليه أم سليم عكة لها فأدمته . . ثم قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء له الله ان يقول . . ثم قال ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا . . ثم قال ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا . . ثم قال ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا فشبعوا . . وهكذا أكل من القوم وشبعوا سبعون أو ثمانون رجلا .

وهناك روايات كثيرة عن كيف عالج رسول الله صلى الله عليه وسلم طفلا كان فى غيبوبة منذ ولادته حتى وصل عمره سبع سنوات . . فشفى من مرضه .

كل هذه المعجزات وغيرها . . لابد أن نأخذها ونحن نعلم أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم . . هو خاتم النبيين . . وأنه عليه الصلاة والسلام قد أوتى اشياء لم يؤتها نبى قبله . . فقد قال عليه الصلاة والسلام : (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى : كان كل نبى يبعث إلى قومه خاصة . . وبعثت إلى كل أحمر وأسود . . وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى . . وجعلت لى الأرض طيبة وطهورا ومسجدا . . فأيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان . . ونصرت بالرعب على العدو بين مسيرة شهر . . وأعطيت الشفاعة) .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يمشي يرى الصحابة الذين أمامه والذين خلفه . . وقد تعهد الله تبارك وتعالى بأن يحميه من كل أذى . . فقال جل جلاله :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾

(الآية ٦٧ من سورة المائدة)

وعندما نزلت هذه الآية الكريمة . . صرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه الذين كانوا يتناوبون على حمايته . . وحفظه الله من كل سوء . . فقد كان جبريل عليه السلام يأتى اليه لينبهه إلى أى خطر .

على أن هناك معجزة لابد أن نذكرها وهى معجزته مع الجن . . عندما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ذاهب

إلى المسجد شيطانا من الجن . . وأمسك به رسول الله صلى الله عليه وسلم . . وكاد يربطه إلى سارية المسجد ليتفرج عليه الغلمان . . ولكنه قال تذكرت دعوة أخى سليمان : رب هب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى فأطلقته .

وهكذا ترى أدب رسول الله صلى الله عليه وسلم . . وكيف أنه على خلق عظيم . . وكيف أنه احترم دعوة سليمان عليه السلام .

لقد استعرضنا فى هذا الفصل بعض المعجزات الحسية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع أجناس الكون . . وهى المعجزات التى نؤمن بها لأنها جاءت موثقة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . . ولأنها قصد منها تثبيت المؤمنين ولفت الكافرين إلى أن هذا الدين هو الدين الحق فيؤمنوا به . . ولكننا لم نذكر كل المعجزات . . لأننا نعرف أن هذه المعجزات حسية مقصود بها الذين رأوها . .

لقد اعطى الله سبحانه وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم . . المعجزاة الدائمة الخالدة إلى يوم القيامة وهى القرآن الكريم . . كما أمده بالمعجزات الحسية . . لتثبيته وتثبيت المؤمنين والرد على تحدى الكافرين .

ويبقى بعد ذلك سؤال . . لقد طلب الكافرون من رسول الله صلى الله عليه وسلم معجزات بعينها . . وكان الإتيان بها يرد على هؤلاء الكافرين ويدحضهم .

الفصل السادس



ومعجزات لم تحدث

أعطى الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم . . معجزات حسية كثيرة تحدثنا عن أمثلة منها . . وهى تشمل كل أجناس الكون التى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة لها .

ولكن هناك معجزات طلبها الكفار من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليؤمنوا . . والله سبحانه وتعالى يعلم أنه لو تحققت هذه المعجزات فلن يؤمنوا . . كما أن عدم تحقيقها كان رحمة بهم . . إذا قرأنا القرآن الكريم نجد قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا
أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ
خِلَالَهَا تَفْجِيرًا أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا
كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا أَوْ يَكُونَ
لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ
لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ
سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾

(الآيات من ٩٠ـ ٩٣ سورة الاسراء)

هذه هى بعض المعجزات التى طلب الكفار من رسول الله

صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بها حتى يؤمنوا ، وهى معجزات فيها نوع من التحدى وعدم التصديق ، ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه بشر رسول .. وهذا أعلى مقام للرسالات السماوية .. ذلك أن البشر هم المخلوقون على اختيار .. أى أنهم يستطيعون أن يختاروا الطاعة أو يختاروا المعصية .. فإذا اختاروا الطاعة وهم قادرون على المعصية .. يكونون قد أتوا الله سبحانه وتعالى عن حب .. وهذا الحب هو أكبر درجات العبادة لله تبارك وتعالى .. لأنك تكون قادرا على المعصنية .. ولكنك تختار الطاعة حبا فى الله جل جلاله .

الله سبحانه وتعالى أرسل معجزات كثيرة مع الأنبياء .. وإذا استعرضنا قصص هؤلاء الأنبياء نجد أن الكفار من معاصريهم لم يؤمنوا بعد أن جاءتهم المعجزات ، وبعد أن استيقنوا أنها معجزات من عند الله سبحانه وتعالى ..

إذا بدأنا بقصة ابراهيم أبو الانبياء عليه الصلاة والسلام ، نجد أن معجزة نجاة ابراهيم من النار لم تدفع غير المؤمنين أن يؤمنوا ، مع أنهم رأوه عليه السلام فى النار لا يحترق .

وننتقل الى قصة صالح عليه السلام .. ماذا فعل قوم صالح ؟ .. طلبوا منه أن يأتى بمعجزة ، وأن تحدث هذه المعجزة كما يحددونها .. وطلبوا منه أن ينشق الصخر فى الجبل وتخرج منه ناقة حامل حتى يؤمنوا !

ولكن .. هل أجدت المعجزات ؟!

وتوجه صالح إلى السماء .. وطلب من الله سبحانه وتعالى ان يحقق له هذه المعجزة حتى يؤمن قومه .. واستجاب الله لرسوله وانشقت الصخر وخرجت منها الناقة وكانت حاملا كما طلبوا ثم وضعت حملها .. هذه الناقة كانت تأتى إلى الماء الذى يسقى زرع الكفار فتشربه ولا يبقى لهم شيء ، ولكنها كانت مقابل ذلك تعطيهم كمية هائلة من اللبن .. فشكا الكفار من أن هذه الناقة لا تترك لهم ماء كافيا .. فقال لهم صالح نجعلها تشرب يوما وأنتم تروون يوما .. أى قسم الماء إلى جزئين .. يوم تشرب فيها الناقة ، ويوم يسقون فيه الزرع والضرع ..

ولكن فى يوم شرب الناقة كانت المياه تأتى غزيرة ، وفى يوم سقياهم كان الماء يأتى ضعيفا .. وأحسوا أن وجود الناقة خطر عليهم .. مع أنهم هم الذين طلبوا هذه المعجزة .. فعقروا الناقة أى ضربوها بالحجارة حتى دميت قدماها .. حينئذ نزل العقاب من السماء فأخذتهم الصيحة فأهلكتهم .. واقرأ قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾

(الآية ٥٩ من سورة الاسراء)

إذا انتقلنا بعد ذلك إلى موسى عليه السلام . . نجد أنه جاء بآيات كثيرة إلى فرعون وقومه . . بلغت تسع آيات هى العصا تتحول إلى حية لتبطل سحر السحرة . . واليد تخرج بيضاء من غير سوء . . ثم لما طغوا وبغوا وأفسدوا أرسل الله سبحانه وتعالى عليهم الضفادع . . والجراد . . والقمل . . والدم . . وأخذهم بالسنين ـ أى بالجفاف والقحط ـ ونقص فى الثمرات . . واقرأ قوله تعالى :

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾

(الآية ١٣٣ من سورة الاعراف)

وقوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾

(الآية ١٣٠ سورة الاعراف)

كل هذه الآيات جاءت إلى قوم فرعون . . ولكنها لم تجعلهم يتركون الكفر وعبادة فرعون . . ويؤمنون برسالة موسى . . مع أنهم كانوا متيقنين من صدق هذه الآيات ! واقرأ قوله سبحانه وتعالى :

﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾

(من الآية ١٤ سورة النمل)

أى أنهم كانوا واثقين أنها معجزات من الله سبحانه وتعالى .. ولكنهم لم يؤمنوا بها عن استكبار وجحود .. ومن هنا فإن الآيات والمعجزات التى أمدَّ الله بها رسله السابقين لم تجعل الذين كفروا يؤمنون .. بل زادتهم استكبارا ومقاومة لمنهج الله .. والحق تبارك وتعالى يقول :

﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْأَيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾

(من الآية ٥٩ سورة الاسراء)

أى أن الله سبحانه وتعالى وهو العليم بكل شىء أراد أن يرسل الآيات رغم أن أقوام الرسل السابقين كذبوا بها .. حتى يكون الناس يوم القيامة شهداء على أنفسهم ، بل إن قوم موسى قد تجاوزوا فى طلب الآيات حدود العقل والمنطق والتأدب مع الله سبحانه وتعالى .. فماذا قالوا ؟..

اقرأ قول الله تبارك وتعالى :

﴿ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ﴾

(من الآية ١٥٣ سورة النساء)

أى أنهم طلبوا أن يروا الله سبحانه وتعالى ، والله غيب عنا ، ولم يفطنوا إلى أن أجسادهم البشرية لا تحتمل نور الحق تبارك وتعالى .. كل هذه تجاوزات من البشر لحق آيات الله .. يريهم الله سبحانه وتعالى الآية بعد الأخرى فلا يؤمنون .. حتى أن قوم موسى عندما أراهم الله المعجزة الكبرى .. فشق لهم

البحر لينجوا من فرعون وجنوده . . ثم أغرق فرعون وجنوده فى البحر . . حتى هذه الآية الكبرى لم تؤثر فيهم . . فبمجرد أن تجاوزوا البحر بعد أن رأوا معجزة كبرى من معجزات الله . . بمجرد أن نجوا من فرعون وجنوده . . رأوا قوما يعبدون أصناما لهم . . فقالوا لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة !! ونسوا الله سبحانه وتعالى الذى نجاهم من موت محقق ، وشق لهم البحر ليوجد لهم سبيلا للنجاة . . أرادوا أن يعودوا ثانية الى عبادة الأصنام .

واقرأ قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۝ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾

(الآيتان ١٣٨ و١٣٩ من سورة الاعراف)

وهكذا نرى أن هناك من أقوام الرسل السابقين . . من طلبوا آيات من رسلهم ليؤمنوا . . فلما أجيب ما يطلبون كفروا به !



.. ولو استجاب .. لهلكوا !

ويجب أن نلتفت إلى شيء آخر .. هو انه إذا طلب قوم آيات ليؤمنوا .. وأرسل لهم هذه الآيات ولم يؤمنوا .. حق عليهم الهلاك جزاء على كفرهم وعنادهم ..

واقرأ قول الحق جل جلاله :

﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا
وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ
ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ
وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

(الآية ٤٠ من سورة العنكبوت)

وهكذا نرى أن عدم استجابته سبحانه وتعالى لبعض ما طلبه الكفار من معجزات كان عَيْن الرحمة .. إذ لو استجاب لهم لأهلكهم .. ذلك لأنك إن طلبت الآية ، ثم جاءك الحق بها فكذبتها .. يستأصلك لأنك لست أهلا لما طلبت .

الله سبحانه وتعالى أرسل رسوله صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين .. أى رحمة لكل عوالم الأرض .. ومنع العذاب الدنيوى وإهلاك الكافرين والعاصين بعقوبة تنزل من السماء بالرحمة المهداة وهى رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأجل

العقاب للآخرة .. واقرأ قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾

(الآية ٣٣ من سورة الأنفال)

رسول الله صلى الله عليه وسلم .. كان دائما يطلب الرحمة لقومه ولم يرض بهلاكهم .. وكان الرسول الكريم كلما آذاه الكفار يقول : (اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون) .. وكان الرسول الكريم يدعو بعدم هلاك قومه لأنه ربما يخرج من أصلابهم من يؤمن بالله ورسوله وينشر دين الله ويقاتل من أجله ..

وقد حدث أن آمن بعض صناديد الكفار من قريش وحسن إيمانهم وجاهدوا فى سبيل الله جهادا كبيرا .. ومن هؤلاء على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر .. خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعكرمة بن أبى جهل وغيرهم كثيرون .

ايات تحققت لغيرهم

الآيات التى طلبها الكفار معظمها آيات تدل على الغباء والجهل . . فماذا طلبوا ؟

« وقالوا أَنْ تُفَجِّرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعاً ». ألم يعط الحق سبحانه وتعالى لموسى أكثر من ذلك . . فكان يضرب الحجر بعصاه فتنفجر منه العيون . . ومع ذلك ماذا حدث ؟ . . ذهب موسى للقاء الله فى المكان الذى حدده له . . فإذا بقومه يعبدون عجلا من ذهب له خوار !! ويظلون عاكفين عليه رغم كل المعجزات التي رأوها ! وعندما قيل لهم : « ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِى كَتَبَ اللهُ لَكُمْ » . . بماذا رد عليه قومه ؟ قالوا كما يروى لنا القرآن الكريم :

﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾

(الآية ٢٤ من سورة المائدة)

إذن فمسألة تفجير الينابيع من الأرض . . لم تجعل قوم موسى يطيعون أوامر الله ويدخلوا الأرض المقدسة لهم . . مع أنهم رأوا هذه الينابيع المرة بعد المرة تنفجر أمامهم .

المعجزة الثانية التى طلبوها : « أَنْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الانهار خِلاَلَها تَفْجِيراً » . . وقد أعطانا الله سبحانه

وتعالى فى سورة أهل الكهف .. قصة ذلك العبد صاحب الجنتين .. الذى آتت جنتيه ثمارهما وفجرت الأنهار خلالهما .. ومع ذلك بدلا من أن تزيده هذه النعمة خشوعا لله قادته إلى الكفر .. واقرأ قوله سبحانه وتعالى :

﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ۝ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾

(الآية ٣٥ ، ٣٦ من سورة الكهف)

وهكذا فإن وجود الجنات وتفجير الأنهار خلالها .. لم يجعل عبدا من عباد الله يؤمن .. بل جعله يزداد كفرا !! ولو تحققت هذه المعجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم .. ما كانوا سيؤمنون بل كانوا سيزدادون كفرا على كفر ، ونفاقا على نفاق !!

أما الآية الثالثة فهى : « أَنْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَما زَعَمْتَ عَلَيْنا كِسَفاً » ..

وهكذا يطالب هؤلاء الكفار بعذاب الله لهم وذلك من غبائهم ، فلو أن السماء سقطت عليهم كسفا ما عاش منهم واحد ليؤمن .. ومن غباء الكفار أنهم يطلبون عذاب الله سبحانه وتعالى .. وهم لا يعلمون كم هو أليم .. ولذلك يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾

(الآية ١٧٦ من سورة الصافات)

ويقول جل جلاله :

﴿ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾

(من الآية ٨ سورة هود)

وهل يستعجل عاقل عذاب الله سبحانه وتعالى .. وهو عذاب أليم أبدى لا يموت فيه الانسان ولا يحيا .. هل يستعجل هذا العذاب إلا كل من لا يملك عقلا يتدبر به .. ويعرف أن عذاب الله أليم .. إذن فهم يريدون سرعة العذاب تماما كما قالوا .. واقرأ قوله تبارك وتعالى :

﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾

(الآية ٣٢ من سورة الانفال)

وكان الأجدر بهم أن يقولوا : ربنا إن كان هذا هو الحق من عندك .. فاهدنا إليه .. لأنه من يريد الهداية فقد رأى الحق وعرفه .. أما من يريد أن يمشى فى طريق الضلال .. فما هو إلا إنسان ظلوم جهول .. ولكنهم طلبوا الموت والعذاب حتى لا يؤمنوا بالحق !

المعجزة الرابعة لن تفيد شيئا

ثم بعد ذلك المعجزة الرابعة التي طلبوها من رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَوْ تَأْتِيَ بِالله والْملائِكَةِ قَبيلا » . . وْهم هنا تشبهوا بقوم موسى حين قالوا : « أرنا الله جهرة » . . وهم يعرفون أنهم يوم يرون الملائكة لا ينفع نفسا ايمانها . . واقرأ قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾

(الآية ١٥٨ من سورة الانعام)

وهكذا نرى أن المعجزة التى طلبوها لم تكن تنفعهم . . لأنها إن تحققت لن يكون بعدها إيمان ، ولا ينفعهم أن يعلنوا إيمانهم بعد أن رأوا . . لأن الايمان لابد أن يكون بالغيب . . فإذا انكشف الغيب ـ كما يحدث للانسان ساعة الاحتضار ورأى ـ فإن إيمانه لن ينفع ، لأنه تم عن رؤية ولم يكن إيمانا بالغيب .

وتأتى المعجزة الخامسة : « أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ » . . وبيت من زخرف فى الدنيا لا يعنى نعيما . . لأن

الدنيا موقوتة . . سنوات ونرحل عنها . . تفارقك النعمة فيها أو تفارقها بالموت . . ولكن النعيم الحقيقى الذى أعده الله فى الآخرة خلود ولا موت . . وفى ذلك يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴾

(الآية ١٠ من سورة الفرقان)

إذن فالكفار طلبوا آية لكى يؤمنوا . . طلبوا نعيما دنيويا زائفا لرسول الله صلى الله عليه وسلم . . ورد الله سبحانه وتعالى عليهم . . بأنه أعد لرسوله عليه الصلاة والسلام خير من ذلك كله . . نعيم فى الآخرة نعيم خالد وقصور وجنات هى بقدرة الله تبارك وتعالى وليست بقدرة بشر . . ولذلك فهى تحتوى على ما لا عين رأت . . ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . . فالله أعد الخير لرسوله عليه الصلاة والسلام بمقاييسه هو جل جلاله . . وهو وحده سبحانه وتعالى الذى يعرف أين الخير وأين الشر .

وفى المعجزة الخامسة طلبوا كذلك أن يرقى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماء . . وأن يأتيهم عليه الصلاة والسلام بكتاب يقرأونه . . ونسوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أسرى به إلى السماء العليا ولكنهم لمَ يروه لأن أبصارهم عاجزة وقلوبهم يملؤها الكفر . . وقد طلبوا كتابا من السماء والقرآن بين أيديهم نزل من السماء . . ولو أن الله سبحانه وتعالى أراد أن ينزل إليهم كتابا من السماء . . فلابد أن ينزله بلغتهم وإلا لما عرفوه . . وما استطاعوا أن يفهموه . . فالقرآن نزل من السماء وهو من عند الله تبارك وتعالى . . ونزل بلغتهم لغة العرب حتى يستطيعوا أن يقرأوه . . وأن يفهموه وأن ينفذوا تعاليمه .

وهكذا نرى أن كل ما طلبه الكفار . . من رسول الله صلى الله عليه وسلم من آيات . . سبق أن أنزلت وكفر الناس بها . . وهم لا يطلبونها لكى يؤمنوا . . وإنما يطلبونها لكبر فى أنفسهم . . لأن قلوبهم ختم عليها بالكفر . . فهى غير صالحة لاستقبال الايمان لأن الكفر يملؤها . . والله سبحانه وتعالى لا يجيب كل قوم كافرين بما يطلبونه من معجزات . . لأنه جل جلاله مطلع على قلوبهم . . يعرف ما يخفونه من أنهم يريدون أن يرضوا غرورهم . . ويقولوا طلبنا فأجبنا ثم كفرنا . . وهذا هو منطقهم . . الكبر فى الدنيا والمباهاة على الناس . والنفس الكافرة لا ترضى بقدر ولا تقنع بكنوز . . والله سبحانه وتعالى

بالغ أمره . . سواء آمن هؤلاء الكفار أم لم يؤمنوا . . وبما أن المعجزات التي طلبوها . . قد أعطيت لأقوام قبلهم ولم يؤمنوا بها . . فالنتيجة ستكون هى نفس النتيجة .

الله سبحانه وتعالى يريد أن يلفتنا . . إلى أن الآيات أو المعجزات التي يرسلها هى للتخويف من الآخرة . . ولاظهار قدرة الله سبحانه وتعالى وأنه على كل شيء قدير . . واقرأ قول الحق جل جلاله :

﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْأَيَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾

(من الآية ٥٩ سورة الاسراء)

أى أن الآيات تأتى ليخاف الكافرون من عقاب الله ومن الآخرة . . ويقول لنا رب العزة فى القرآن الكريم :

﴿ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴾

(من الآية ٦٠ سورة الاسراء)

إن تخويف هؤلاء القوم الكافرين لا يجعل قلوبهم تخشع . . ولا نفوسهم تنتقل من الكفر إلى الايمان . . بل هم فى استكبارهم يزدادون كفرا .

ولو تحققت الآيات التى طلبها الكافرون من رسول الله صلى الله عليه وسلم . . ما كانت تزيدهم إيمانا . . بل كانت ستسرع فى هلاكهم . . ولو أن الله استجاب إليهم ولم يؤمنوا لأبادهم . . ولكن لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل رحمة للعالمين . . فقد وقاهم الله من الابادة والهلاك فى

اللحظة التى طلبوا فيها هذه الآيات .. لأنه سيخرج من أصلابهم من يؤمن بدين الله .. ويحارب فى سبيل الله .. وينشر هذا الدين فى بقاع الأرض .. وهذه حكمة من حكم عدم الاستجابة .. وذلك أن الله علم أزلا بعلمه الواسع .. أن الخير فى تأجيل العذاب لهؤلاء الكافرين .

ولقد تحدى الكافرون رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أشياء دنيوية كثيرة هزموا فيها .. لأنه لم يكن لهم منطق ولا حجة .. بل كانوا يروجون أكاذيب وأباطيل .. ولقد أثبت الله سبحانه وتعالى لنا غفلتهم وعدم ذكائهم .. فعندما تغيرت القبلة نزل القرآن الكريم :

﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ﴾

(من الآية ١٤٢ سورة البقرة)

ولابد أن نتنبه إلى حرف السين فى الآية الكريمة .. ومعنى « سيقول السفهاء » .. أنهم لم يقولوا وقت نزول الآية الكريمة .. ولكنهم سيقولون بعدها .. ولو أنهم لم يقولوا لكان فى امتناعهم عن القول تشكيكا فى القرآن الكريم .. لأننا كنا سنقول أن الله سبحانه وتعالى قال : « سيقول السفهاء » .. ولم يقل أحد شيئا .. ولكنهم قالوا ليصبحوا ـ وهم الكافرون بكتاب الله ـ شاهدين على صحته مثبتين للايمان وهم لا يعلمون ..

ونوجز ما فصلناه فنقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى معجزة كبرى وهى ـ فى نفس الوقت ـ منهجه .. القرآن

الكريم .. ولا زال القرآن الكريم معجزة إلى يومنا هذا .. كل يوم نكتشف فيه إعجازا جديدا يوافق ما نبغ فيه القوم ..

وإذا كانت معجزة هذا العصر هى العلوم والتكنولوجيا .. فإن القرآن الكريم فيه إعجاز يتمشى مع العصر .. سواء فى البداية الواحدة للكون .. أو كروية الأرض أو دورانها حول نفسها .. أو ما يدور فى أعماق البحار .. أو أطوار الجنين فى بطن أمه .. أو مراكز الأعصاب تحت الجلد .. أو أن العين لا تبصر بذاتها .. أو غير ذلك مما يتكشف لنا يوما بعد يوم ..

ولكن إعطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه المعجزة الكبرى الخالدة لا ينفى أن له معجزات حسية .. ونبوءات تتحقق فى هذه الأيام .. ونصيح من أعماقنا نشهد أنك لرسول الله .

كما أن رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم .. لأنه أرسل رحمة للعالمين فله معجزات مع كل جنس من أجناس الأرض .. تلك المعجزات التى رواها لنا الصحابة .. الذين ائتمناهم على بلاغ القرآن ونشر الدين .. ولذلك فإن حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم .. قد شهدت من المعجزات الكثير .. وكما قلنا فإن المعجزة الحسية مقصود بها من شاهدها .. وهى تقع مرة واحدة ثم تنتهى .. وصدق البلاغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. يؤكد لنا أن هذه المعجزات قد وقعت وحدثت .

اللهم الهمنا الصواب وإهدنا إلى صراطك المستقيم .

فهرســـت

رقم الإيداع ٥٨٦٣/ ٩٧
الترقيم الدولى .I.S.B.N
977 - 08 - 0338 -3

طبع بمطابع أخبار اليوم